بيت اللحيوي

الجزء الأول

أحفاد برهوت

رواية

م. عبد الله عبد المنعم

بطاقة الكتاب

بيت اللحيوي

أحفاد برهوت

رواية

م. عبدالله عبد المنعم

رقم الإيداع : ٥٤١٠ / ٢٠٢٥

الترقيم الدولي

٤- ١٩٨١ - ٩٥- ٩٧٧- ٩٧٨

الطبعة الأولى

عدد الصفحات: ١٢٤

تاريخ الإصدار: يناير ٢٠٢٥

الإخراج الفني والمراجعة اللغوية

دار وادي عبقر للطباعة والنشر والتوزيع

رئيس مجلس الإدارة

جابر الزهيري

جميع حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف، ولا يحق لأى دار نشر طبع ونشر وتوزيع الكتاب إلا بموافقة كتابية من الكاتب والناشر

دار وادي عبقر

للطباعة والنشر والتوزيع

بيت الإبداع.. وموطن العباقرة

wadiabkr.wixsite.com /wadiabkr

wadiabkar@gmail.com

www.facebook / wadiabkar

www.youtube.com / wadiabkr

٠١٥٥٥٥١٧٤٢٦

٠١١٤١٧٢٨٦٢٥

٠١٢٢١٤٨١٨٥٦

٠١٠٩٧١٥٤٣٣٢

٠٨٦٢١٦٤٤٢٨

الإهداء

إلى قلوب لا تعرف الخوف، ويملأها الإيمان بالله، وينيرها ذكره، ويعمرها القرآن .

قلوب عامرة بذكر الله، فلا يقدر عليها إنس ولا جان

أهدي هذه الرواية

مهندس/ عبدالله عبدالمنعم

ت / 01223311752

مقدمة

هذه الرواية مستوحاة من قصة وقعت عام ١٩٤٥ في إحدى قرى مصر، وتم صياغتها في قالب درامي

المؤلف

-١-

تنام قريتنا الجميلة قرية الرفاعي على ذراع الترعة، فترعتنا هي شريان الحياة لقرى الناحية كلها، حيث تضم أكثر من عشرين قرية ترضعها الترعة من رحيق الحياة من مياه نيلنا العظيم. الذى قالوا عنه أنه ينبع من الجنة، والترعة هي أحد روافد نهر النيل بمدينة بنها، مما يجعل هذه الناحية من أجود الأراضي الزراعية وأغلاها ثمنا لأن ريها يسمى (ري بالراحة).

سميت قرية الرفاعي بهذا الاسم نسبة إلى عمدتها، وأول من سكنها فأول طوبة وضعت بها كانت في بيته، بيت الشيخ السيد الرفاعي، فهو عين أعيان الناحية كلها، والكل يتحدث عن الشيخ الرفاعي الذى يملك من الأرض ما يزيد عن مائة فدان، والسيد الرفاعي رجل خير ويخاف الله، رزقه الله بولد وبنت، ابراهيم وزينب.

بعد موت السيد الرفاعي، ورث العمودية والدار والأرض ابنه العمدة ابراهيم الرفاعي، أما أخته زينب فقد تزوجها صديق عمره صالح جعفر اللحيوي، وأصبحت الصداقة يكللها النسب والدم.

****

قريتنا الأن يبلغ عدد بيوتها فوق المائتي بيت، بعدما بدأت بعشر بيوت، ورث ابراهيم الرفاعي عن والده السيد الرفاعي كل شيء، فهم

لا يورثون البنات الأرض، حتى لا تخرج الأرض من العائلة إلى الأغراب كما كان العرف السائد، وحتى الأن هناك من يلتزمون بهذا المنهج خوفا على الأرض.

يقدرون قيمة الأرض ويعطوهن ثمنها للبنت، وذلك العطاء حسب قدر الايمان الذى في قلب الولد، ورث ابراهيم الرفاعي عن أبيه أيضا الخوف من الله، فأعطى أخته حقها كاملا من المال.

لم يظلمها في الثمن، ولم يأكل عليها مليما أحمرا كما يقولون، وكذلك ورث العمودية، فأصبح العمدة، وعين أعيان الناحية مثل والده المرحوم الشيخ السيد الرفاعي.

-٢-

جلس صالح جعفر اللحيوي أمام بيته والمعروف ببيت اللحيوي نسبة لوالده جعفر اللحيوي، وكان جعفر اللحيوى رجل صالح ومتدين، حافظا للقرآن، وتذهب الناس إليه من القرية ومن القرى المجاورة للرقى الشرعية.

كان مولعا بالقراءة في كل الأمور الروحانية، فك السحر وفك الربط الذى كان يمارسه الدجالين على العرسان، خاصة في يوم عرسهم ليقوموا بفكة بمقابل مادي، وكان لجعفر اللحيوي رواد كثيرون، لأنه كان يساعد الناس مجانا على الشفاء من السحر، وطيلة عمره ما قام بضرر أحد، لذلك أحبه الجميع، لدرجة أنهم كانوا يطلقون على القرية قرية اللحيوي وكان السيد الرفاعي سعيد بذلك لأنه عمل شهرة للقرية كبيرة جدا في الزمام كله.

وكان بيت اللحيوى يطل على الترعة بجوار بيت العمدة، فالبيتان يقفان أمام الترعة وعلى كتفها، ويفصلهما عن الترعة الطريق الزراعي الموازي للترعة.

جلس صالح وقد أسند ظهره على شجرة التوت التي على كتف الترعة وبجوارها الجميزة العتيقة، وبينهما موضع الجلسة الخاصة التي صنعها صالح اللحيوي وصديقه العمدة ابراهيم الرفاعي، لتكون

جلسة السمر اليومي، وكثيرا ما شاركهما بعض الأصدقاء من القرية، مثل شيخ الجامع الشيخ عويس الذى جاوز الخامسة والستين من عمره، ومهندس الجمعية الزراعية، وشيخ الخفر وبعض الأصدقاء.

ورث صالح اللحيوي عن والده البيت بيت اللحيوى الذى عمره من عمر القرية، ورث أيضا تجارة الغلال، إضافة إلى عمله ككاتب أمام المحكمة الشرعية ببنها، وقد حصل علي عمله هذا بمساعدة والده الحاج جعفر اللحيوي، حيث كانت تجارة والده تتم من خلال مقهى دعبس، الواقع أمام المحكمة الشرعية، حيث يتقابل عليها التجار والمشترون المتعاملون بالجملة، ومن الطبيعي أن يساعده صاحب المقهى ليضع ترابيزة لابنه صالح أمام المحكمة، فكل كتبة المحكمة زبائن القهوة وأيضا المحامون والحجاب، فما أسهل أن يحصل على ترابيزة لكاتب أمام المحكمة بوساطة دعبس.

كانت قهوة دعبس تعجّ بالزبائن من مختلف التخصصات صباحا من رواد المحكمة، ومساء من سامعي القصص والروايات، فكان بعد صلاة العشاء يأتي رواة القصص، منهم من يحكى بالربابة ومنهم من يحكى قصص ألف ليلة وليلة، وحكاوي العفاريت والجان والنداهة.

كان هذا الراوي يأتي يوم الجمعة فقط، وهو شيخ نوبي يسمى نور النوبي، ومقهى دعبس لا يوجد به مكان تقدم فيه سهرة الجمعة،

لذلك كان لدعبس كلمة والكل يحب أن يخدمه، وقد فضل صالح ووالده جعفر الترابيزة أمام المحكمة على الوظيفة في المحكمة ذاتها أو أي ديوان عمل، فكما أن جعفر اللحيوي يحب العمل الحر، أحب صالح اللحيوي العمل الحر أيضا فهو ما يجعله يحصل كل يوم على دخل نقدى، ولا ينتظر أخر الشهر المبلغ المعلوم، ولكن العمل الحر يدر عليه المال حسب مجهوده وكفاءته من عمله من كتابة الشكاوى والطلبات وسمسرة القضايا التي يعطيها للمحامين، فالزبون يأتي للكاتب قبل المحامي، ثم أصبح صالح تاجرا للغلال مثل أبيه بعد وفاته، ويديرها من الترابيزة التي يباشر عليها عمله أمام المحكمة الشرعية.

-٣-

لف الليل القرية في عباءته السوداء لفة محكمة، وكأنه خائف أن يراها أحد، فتحولت القرية لقطعة من السواد، فنحن في آخر الشهر العربي، والسماء بلا قمر وبلا نجوم، وكانت الإضاءة الوحيدة للقرية تخرج من البيوت على استحياء، من لمبات توقد بالكيروسين، ومعروفة باللمبة الجاز، أو من السراج المعروف باللمبة الصاروخ، نسبة للهب الخارج منها على شكل صاروخ، وكانت الشوارع حالكة السواد فلا تسطيع أن ترى من يقابلك بالشارع، فتكاد لا ترى يدك.

من بعد صلاه العشاء وإغلاق الجامع، تنام القرية وتدخل في سبات عميق، ليصحوا مبكرا ويذهبوا إلى حقولهم، ليستقبلوا الشمس قبل أن تشرق، ويعودون إلى بيوتهم بعد أن يودعوا الشمس ويوصلونها إلى مقرها وبيتها حيث كانوا يعتقدون.

****

صعدت الذكريات إلى عقل صالح اللحيوي وهو ساند ظهره إلى شجرة التوت، فنظر إليها وإلى فروعها الكثيرة والكبيرة، فبينه وبينها قصص وحكايات هي والجميزة العتيقة بفروعها المتشابكة، فكانت أسعد أيامه وهو يصعد الشجرة ويجنى منها التوت في موسمه، فمازال طعم التوت والجميز في فمه طعم بأيامه ولياليه

وثوانيه، وهذه الترعة التي تعلم العوم فيها، وكان يتسابق هو وصديق عمره العمدة الحالي ابراهيم الرفاعي.

من هذا الحب الكبير سمى ولده ابراهيم، على اسم صديق عمره وأخو زوجته، فهو خال الولد أيضا، وكذلك فعل ابراهيم، قد سمى ابنه صالح محبة في صديق عمره وزوج أخته.

***

ما إن ترحل الشمس وتغرب عن القرية، حتى يأتي ابراهيم ابن صالح اللحيوي، ويفرش الحصير في مقعدهم الدائم والذى يحيطه سور بارتفاع نصف متر من ثلاث جهات، فالجهة الرابعة هي الترعة.

***

جاء صوت زينب زوجة صالح، وهى تقترب منه في جلسته المسائية بين الجميزة والتوتة في المقعد مقر السهرة الدائم له ورفاقه وعلى رأسهم العمدة ابراهيم الرفاعي.

زينب: أجيب العشاء

صالح: انتظري شوية، أخوكى جاي يتعشى معانا

أجابته ضاحكة، انظر أمامك فمحيسن الخفير يعبر الشارع يحمل صينية العشاء: العمدة هو اللي هيعشينا

صالح ضاحكا: يبقى جايب حمام

دخل محيسن وهو يعبر حاجز المقعد، فقال: السلام عليكم صالح أفندي

كان كل أهل القرية والقرى المجاورة ينادونه بالأفندي لوظيفته الكتابية، ولبسة البدلة أو البنطلون والقنيص والطربوش، لكن لبسه في القرية الجلابية كأهل قريته.

رد صالح باسما: أهلا محيسن اتفضل، حط الصينية على الطبلية

وضع الخفير محيسن الصينية بما عليها من حمام، وعاد أدراجه ولم ينس أن يسأل صالح أفندي السؤال المعتاد فور إنهاء المهمة: تأمرني بأي حاجة يا صالح أفندي؟

صالح: شكرا يا محيسن، اتفضل انت

عاد محيسن عابرا الشارع إلى دوار العمدة، فسأل صالح زوجته: فين ابنك ابراهيم؟

زينب: جاي ها يحضر قلة الميه وعدة الشاي.

يهل العمدة ابراهيم الرفاعي ويعبر الشارع إلى مقعد الجميزة، وفى نفس الوقت يأتي ابن صالح حاملا القلة وبعض أجزاء عدة الشاي.

ابراهيم العمدة: السلام عليكم، ازيك يا زينب، ازيك يا حبيبتي

زينب: تسلم يا اخويا وحبيبي

صالح: وانا مافيش ازيك يا عمدة؟ دا مكانش عيش وحمام

يضحك الجميع، ويرد العمدة: انت حكايتك حكاية، كنت فين امبارح؟ عموما نأكل ونتكلم، تعالى يا ابراهيم جنبي

ابراهيم: حاضر يا خالي، هو فين صالح ابن خالي

العمدة: جاي حالا

ابراهيم: يبقى نستنى

زينب: طبعا ربنا يبارك فيكم، انتوا اخوات

فجأة يهل شيخ الجامع، فيضحك صالح وهو ينظر للعمدة: هو بيشم الحمام

أجابه العمدة ضاحكا: زى ما فيه حاسة سادسة، فيه حاسة الدسم

يضحكون مع وصول شيخ الجامع الشيخ عويس الذي بادرهم بالتحية: السلام عليكم

العمدة: اتفضل يا مولانا

صالح: حماتك تحبك

العمدة: طبعا تحبه وتكرهنا احنا

يضحك الجميع، ويأتي صالح ابن العمدة ويبدأون العشاء.

-٤-

ما ان انتهوا من العشاء حتى أتى الخفير محيسن، وأوقد راكية الشاي، وكانت الراكية بها جزع شجرة يبلغ طوله متر، أي أنه أمامه شهران حتى ينتهي، دس محيسن براد الشاي، ومثله للقهوة وكان لونهما من الداخل والخارج أسود شديد السواد من آثار الراكية، فقد تم غسلهما وتنظيفهما مرات، ولكن دون فائدة وكان لون الشاي والقهوة لا يقل سوادا عن لون البرادان.

جلس الجميع وهم يسندون ظهورهم إلى سور القاعدة الذين يجلسون بها، بعضهم ينظر إلى الماء في مواجهة الترعة، والآخر إلى القرية حسب جلسته، وبدأ الحوار بين الجميع، وكان من عادة الصديقان أن العمدة إذا وجه حديثا أمام أحد إلى صديق عمره صالح فكان يناديه صالح أفندي، وكان صالح إذا وجه حديثا إلى العمدة، فكان لا يقوله الا يا حضرة العمدة، فكان لا ينادون بعضهم بأسمائهم بلا لقب أمام أحد، فكان الاحترام والحب بينهما لا مثيل له.

انضم إلى المجموعة منصور ترمجي الوحدة الصحية التي تبعد أكثر من خمسة كيلومترات عن القرية، ويعتبر منصور طبيب القرية، فتجد دائما العلبة الصاج لا تفارق جيب الصديري، وبها السرنجة الزجاجية الخاصة بحقن المرضى، وكان إذا ذهب إلى أحد ليعطيه الحقنة، يطلب

منه أن يغلي هذه السرنجة والإبرة الحديدية، فتظل تغلى أكثر من مرة حتى يتأكد من تعقيمها.

بدأ محيسن يناول الجميع الشاي، وبدأ يصنع لهم القهوة أيضا وبدأوا في ارتشاف الشاي، بينما محيسن يجهز الشيشة لهم.

سأل العمدة صالح وقال له: يا صالح أفندي أنت كنت فين امبارح، ما شفناكش يعني؟

صالح: امبارح دا حكاية وهأحكيها كلها لك، لأنها حكاية غريبة
العمدة: خير، حصل إيه؟

اعتدل صالح في جلسته وبدأ يقص ما حدث، فقال صالح: جاءني قبل العشاء رجلان من قرية الباشا بالركائب (الحمير)، ومعهم ركوبه لى، وأخذوني إلى عزبتهم لأن لديهم مشكلة كبيرة..

بدأ صالح يحكي ما حدث معه بالأمس، حيث ذهب إلى قرية الباشا، وقد طلبه العمدة بنفسه سيد الباشا، لأن هناك مشكلة مع أحدى حريم القرية، وأن هذه المرأة ممسوسة من الجان كما يقولون، وحينما يحضر عليها تحدث لها تشنجات وتتحدث بلغات لا يفهمها أحد، وقد أصبحت سقيمة ولا علاج لها ولا يعرفون ماذا يفعلون، خاصة وأن الهزال بدأ يبدو عليها، وهي من سيء إلى أسوأ، فقصدوا صالح أفندي لما ورثه عن والده في مساعدة هذه الحالات وغيرها، فهو

اسمه صالح ورجل صالح، وقد ورث هذا الصلاح عن والده جعفر الحيوي.

ما إن وصل صالح إلى دوار العمدة بقرية الباشا، حتى وجده في انتظاره، ومعه بعض أقارب المرأة المريضة ومن اهتمام العمدة بالموضوع بهذا الوضع، أحس صالح أن هناك قرابة لهذه المرأة مع العمدة، فقد استقبله استقبالا حافلا، وكان العشاء في انتظاره، فبعد أن تناول وجبة العشاء وشرب الشاي والقهوة والشيشة وكل ما يخص الضيافة، والتي كانت إجبارية، فإن رفضت الأكل فيعد إهانة لهم، فهذا طبع ريفنا ورجاله الكرماء.

ذهب مع أقارب المرأة إلى دارها لبداية العلاج، وهناك تكرر نفس الكرم، فقبل أن يحضروا العشاء أقسم عليهم صالح أفندي كما ينادونه، والذى جعلهم يقبلون قسمة أنهم تناولوا معه العشاء في دار عمدة قريتهم، فراحوا يعدون الشاي والقهوة والشيشة، واستدعوا المرأة المريضة فجاءت، وكان الجالسون مع صالح أفندي زوجها وأخيها، فجلست يلفها الخجل كطبع المرأة الريفية أمام الغرباء.

نظر صالح إلى المرأة وكانت جميلة بدرجة كبيرة، فهي بيضاء ذات عيون سوداء وحاجبان مرسومان رسما ربانيا، وشفاه حمراء رقيقة، وأنف أقني، كانت غاية في الجمال، فسأل صالح: ما اسمها؟

رد زوجها: سعاد

صالح: بنت من؟

الزوج: صابر

صالح: أقصد اسم أمها

الزوج: صالحة

راح يسألها بماذا تحسين؟ فقالت: لا شيء.

كانت صادقة، فالحالة حينما تأتيها فهي لا تعرف عنها شيء، ولا ما يحدث لها، أي أنها تعتبر في غيبوبة أثناء حالتها المرضية.

طلب منهم إيقاف الشيشة والمشروبات، وبدأ صالح أفندي بخبرته في هذه الحالات يتلو آيات قرآنية، وهو يعلم أن المرأة لو كانت ممسوسة من الجن ستتفاعل مع الآيات القرآنية، وسوف يحضّر هذا الجن الذي مسها، وكما يقول الناس الجن الذى يلبسها.

أخذ صالح أفندي يردد الآيات ويكررها مرارا، إلى أن ارتمت المرأة على الأرض فجأة، وتخشب جسدها، وراحت تنتابها رعشات مثل الصرع، وهو تزوم بأصوات مبهمة.

قام زوجها وأخوها ليمسكاها حتى لا تضر نفسها، لكن صالح أمرهم بالرجوع وعدم التدخل، وواصل قراءة القرآن، آيات معينة تخص الجن، وآيات تهدده، وفجأة رفعت المرأة رأسها، ونظرت إليه وقد اتسعت حدقتا عينيها، تنظر إليه شذرا، وكأنها تريد قتله بسهام عينيها النارية التي تحمل كره العالم له.

وإذا بها تتحدث إليه بصوت رجل وليس صوت أنثى، وصوت جهوري وخشن باللغة الإنجليزية، والكل لا يعرف ماذا تقول وفي اندهاش لما يحدث، أما صالح فلم يوقف قراءة القرآن، وأقسم عليه أن يتحدث باللغة العربية، فكان الجان يرفع صوته أكثر باللغة الإنجليزية ويعاند، وصالح يقرأ بصوت عال، ويقسم عليه بآيات القرآن.

ظل الوضع كذلك إلى أن تحدث الجان بالعربية فجأة سائلا صالح: ماذا تريد يا صالح؟ اذهب حيث جئت.

صالح: وعارف اسمى كمان

الجان: أعرف عنك كل شيء

صالح: اذهب انت حيث جئت، لماذا جئت عالمنا؟ نحن لم نعتدى عليك، انت المعتدى

الجن: إنني أحبها

صالح: تحب من يا كافر؟ اخرج والا أحرقتك

الجن: إنها ملكي وسأتزوجها

صالح: يا كافر إنها متزوجة

كانت الدهشة قد عقدت لسان زوجها وأخوها من ردود الجان، وكأنهم يشاهدان فيلم رعب، ولا يملكان إلا المشاهدة، بينما الحوار بين صالح والجان محتدا، وكل يستعرض قواه للفوز على الآخر وتحطيمه..

الجن: سأتزوجها، وإن كان على زوجها سأقتله

فزع زوجها وصاح: يا نهار أبوك أسود

أشار له صالح أن يصمت، وأكمل حواره مع الجني: انت لا تستطيع عمل شيء، فإن كيد الشيطان كان ضعيفا، وسأقتلك الآن.

بدأ صالح يكرر تلاوة آيات الحرق، والجان يصيح: هي لى، هي زوجتي.. ثم صمت وفى ثوان خرجت المرأة من غيابها وعادت للوعى، وبدأت تبكى.

المرأة: ماذا حدث؟

صالح: لا شيء، كيف حالك الآن؟

المرأة: أحس أن جسدي متكسر، وكأنني تم ضربي، هل أحد ضربني؟

صالح: لا.. لا تخافي، كل شيء بإذن الله سيكون على ما يرام، اذهبي واستريحي

خرجت المرأة وهى في حالة إعياء، فسأل زوجها وأخوها صالح

- كده خلاص الحمد لله خرج؟

- لا.. لم يخرج، إنه هرب وسيعود خلال يوم أو يومين

- والعمل؟

- خير إن شاء الله، سأعود الأسبوع القادم

- وإن حضر

-اقرأوا بجوارها القرآن باستمرار، سيحميها ويجعله إن حضر ينصرف بسرعة، والأسبوع القادم سأكون هنا إن شاء الله.

-٥-

أنهى صالح قصه لما حدث في قرية الباشا، وهم في مجلس الجميزة، فسأله صديقه العمدة ضاحكا: الجن بيتكلم بالإنجليزي؟

ضحك صالح: أيوا، جن مثقف

ضحك الجميع

العمدة: وفهمت الجن بيقول إيه؟

ضحك صالح: لا طبعا، لأنه بيتكلم الإنجليزية بطلاقة أكتر من الإنجليز نفسهم

العمدة: ليه الجن كان بيتكلم بالإنجليزي؟ ليه خد الأسلوب دا؟

صالح: للتعجيز

قطع الحوار بينهما صوت طفل في العاشرة من عمره قادم إليهم، وهو يقول: السلام عليكم. يا عم محروس والدي أرسلني إليك لتعطيه الحقنة.

محروس: ماشي يا علي، أبوك عامل إيه دلوقتي؟

علي: الحمد لله كويس

فمد محروس يده إلى جيبه وأخرج علبة الحقن الصاج، وأعطاها لعلى وقال له: خد الحقنة واسبقنى وأنا جاي وراك، وخلي أمك تغلي الحقنه في مية سخنة، قول لها تحطها في طبق أو حلة وتشغل عليها الباجور وقت كبير وأنا جاي وراك.

فقال العمدة: يا محروس خليك حنين على الناس

فرد محروس: أنت عارف يا حضرة العمدة، امبارح بعد ما اديت الراجل الحقنة أعطاني بيضتين، ما يعرفوش إن فيه حاجة اسمها فلوس.

العمدة: حلوة يا محروس، احمد ربنا، الناس غلابة

ثم نظر محروس إلى صالح أفندي وقال له: أظن عندكم قدام المحكمة مفيش حد يدفع ثمن العريضة أو الشكوى بيضتين أو كوز ذرة...

رد صالح ضاحكا: أنا لو حد بيضة أو بيضتين أخليه يرقد عليهم.

فضحك الجميع، وانصرف محروس، وراح صالح يكمل حواره مع العمدة: الجني كان يتحدث بالإنجليزي ليعجز الناس، ويعجز من يحاول معه حتى يتركه ولا يحاول معه

العمدة: هذه مشكلة يا صالح أفندي، فهل حدث معك قبل ذلك

صالح: لم يحدث، وحتى أثناء ما كنت أرافق والدي لم يحدث معه أن تحدث عفريت أو جان بلغة غير العربية

شيخ الجامع: ماذا ستفعل؟

صالح: سأذهب إليهم الجمعة القادمة، وربنا يقوني

شيخ الجامع: تحب أن أحضر معك؟

صالح: تفضل... تشرفنا

العمدة: سآتي معك يا صالح أفندي

صالح: تمام يبقى يوم الجمعة بعد صلاة العشاء نتوكل على الله إلى قرية الباشا، وربنا يقوينا

العمدة: كله على الله.

-٦-

أمام المحكمة الشرعية جلس صالح أفندي إلى ترابيزته، وراح يباشر عمله من كتابة عرائض أو صيغ توكيلات ليستخدمها الزبون في عمل التسجيل داخل المحكمة، انتهى من العمل حوالي الثانية ظهرا وجاءه عامل مقهى دعبس وقال له: المعلم دعبس يريدك.

فقال له صالح: حاضر.. سآتي إليه حالا.

كان دعبس صديق والده وهم في نفس السن، وصالح عنده مقولة أن صديق والدي يعامل كوالدي وله السمع والطاعة، ذهب إلى المعلم دعبس، وكان الرجل قد شارف على السبعين من عمره، كان جالسا على الدكة الخاصة به في القهوة وأمامه الشيشة، فدخل صالح وألقى عليه السلام، وجلس بجواره.

دعبس: كيف حالك يا صالح؟

صالح: بخير يا عمى

دعبس: فيه ناس من قرية سعد جنبكم طالبينك

صالح: خير يا عمى

دعبس: عندهم عريس أول امبارح كان ليلة دخلته، وانت عارف الباقي بقى

صالح ضاحكا: قصدك اتربط

دعبس: آه.. ولاد الحرام وألاعيبهم

صالح: طيب ليه مارحوش لهم ودفعوا المعلوم وفكه؟

دعبس: أخو العريس أقسم بالله يقتل الفاعل، فأنكر الرجل بل وأقسم وقال لقد تبت إلى الله ولا علاقة لى بما حدث

صالح ضاحكا: التهور في التصرف، ولماذا لم يأتوا لى؟

دعبس: حصل.. ولكن في الطريق حدثت مشكلة لهم

صالح: خير يا عمى

دعبس: حينما وصلوا أمام بئر برهوت رفضت الركايب أن تمشى، ولفت وغيرت اتجاهها وعادت، ونهيقها يملأ المكان، وجرت بسرعة لدرجة أنهم سقطوا من عليها، وأنت نعرف بئر برهوت.

صالح: نعم يا عم دعبس إن الحمير ترى الجن، وورد هذا في حديث عن سيدنا رسول الله ﷺ (عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا)

دعبس: نعم.. وهذا ما حدث فعلا

صالح: لكن بئر برهوت انتهت مشكلته من أكثر من عشرين عاما..

دعبس: هذا ما حدث، وهم في انتظارك اليوم

صالح: أوامرك يا عمى، هم بيت مين؟

دعبس: بيت سلامة الشايب

صالح: تمام، بس إيه اللي قالوه عن بير برهوت؟

دعبس: الركايب وقفت ولفت وجريت بأقصى درجه وهم بيقولوا حسوا إن جسمهم حصل له قشعريرة جامدة

صالح: دا من خوفهم من تصرف الركايب، أما البير اتردم يا عم دعبس من عشرين سنة

****

خرج صالح من المقهى وركب ماكينته، عائدا بالموتوسيكل الخاص به، فكانوا يسمونه في هذا الوقت بالماكينة، عائدا إلى بيته لكن رأسه منشغل بالتفكير، إن البئر تم ردمه منذ عشرين سنة، وكان عمره في هذا الوقت يقترب من العشرين، وهذا البئر اشتهر بين الناس بأن فيه شيء غير طبيعي، وقال البعض أنه مسكون، فكان إذا اقترب أحد من

البئر يسمع أصواتا صراخا، وأحيانا أصوات ضحكات عالية، وإذا أحدثوا أي صوت كانوا يسمعون صدى للصوت كثير وأضعاف صوتهم. وأكثر من صوت يرد عليهم.

حتى أن أهل القرية منعت الأطفال من أن نذهب إلى البئر، وقاموا بتخويفهم من البئر حتى لا يذهبون إليه، لأن البئر يقع بين المقابر وبين القرية، وهو على بعد أكثر من نصف كيلو متر.

كانوا يفسرون الصدى الكثير والمتكرر بأنه يحدث بسبب أن البئر قطرة حوالي متر وعميق جدا، فهذا يسبب تردد للصوت في حائط البئر، والبعض ذهب إلى أكثر من هذا، فقال أنه يرى امرأة طويلة ترتدي السواد وتقف على حائط البئر، بجوار ذلك السور الذي بناة أهل القرية حول البئر لحماية الأطفال أو من يقترب منه، والبعض قال أنهم يرونها أيضا تجري وتذهب إلى المقابر وهي تصرخ بحركات بهلوانية وما إلى ذلك، والبعض قال أنها كانت تذهب وتجلس على شاطئ الترعة.

حكايات كثيرة قيلت، إلى أن انتهت بموت أحد الأطفال في البئر بعد سقوطه فيه، فقيل أن هناك جنية خطفت الطفل ونزلت به إلى قاع البئر، لذلك قرر العمدة السيد الرفاعي والد العمدة الحالي والشيخ جعفر اللحيوي والد صالح أفندي ردم البئر.

كان الشيخ جعفر الحيوي هو من أطلق عليه هذا الاسم (بئر برهوت) لما يشبه في صفاته بئر برهوت الموجود باليمن، والذي قيل عنه أن سيدنا رسول الله ﷺ قال عنه أنه أسوأ بئر في الأرض (عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «خَيْرُ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءُ زَمْزَمَ، فِيهِ طَعَامٌ مِنَ الطُّعْمِ، وَشِفَاءٌ مِنَ السُّقْمِ، وَشَرُّ مَاءٍ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ مَاءٌ بِوَادِي بَرَهُوتٍ، بَقِيَّةُ حَضْرَمَوْتَ كَرِجْلِ الْجَرَادِ مِنَ الْهَوَامِّ، يُصْبِحُ يَتَدَفَّقُ، وَيُمْسِي لَا بَلَالَ بِهَا». ورُوِيَ عنه قوله أن: «أبغض البقاع إلى الله تعالى وادي برهوت بحضرموت فيه بئر ماؤها أسود منتن يأوي إليه أرواح الكفار».

لذلك أطلق الشيخ جعفر اللحيوي اسم بئر برهوت على هذا البئر وقد ردم من عشرين سنة بعد مقتل الطفل، فقرر صالح أن يذهب اليوم إلى قرية كفر سعد وإلى هذا الفتى من عائلة سلامة الشايب، ليحل لهم المشكلة، ولأن الطريق الوحيد إلى هذه القرية سيمر من أمام البئر، ويجرب بنفسه ماذا حدث لمن أتى إليه بالأمس. وكانوا جالسين هو والعمدة في مجلس الجميزة، ولم يستطيع أن يصل إلى قريته بسبب بير برهوت.

-٧-

أنهى صالح صلاة العشاء في الجامع خلف الشيخ عويس، وقابل صديقه العمدة إبراهيم الرفاعي، وأبلغه أنه ذاهب الآن إلى قرية كفر سعد عند عائلة سلامة الشايب، لأن لديهم عريس تم ربطه في ليلة عرسه، وذاهب لأنهاء هذه المشكلة وسيأتي سريعا فسأله العمدة: لماذا لم يأتي الشاب إليك؟

فقال له صالح: إن به خجل وملازم غرفته من خجله

لم يذكر له ما رواه المعلم دعبس صاحب المقهى عن أحداث بئر برهوت، وما حدث لزواره أمس وما حدث للركائب، فذهب إلى بيته واستقل دراجته النارية، واتجه إلى قرية كفر سعد ومر من أمام البئر فلم يحدث أي شيء، وكذلك مر من أمام المقابر ولم يحدث شيء، فكل شيء كان عاديا، وكان الجو هادئا، ولا توجد أي مشاكل، فابتسم وقال ربما كان هناك شيء غير هذا البئر.

وصل القرية واتجه إلى بيت عائلة سلامة الشايب، ووجد الناس بانتظاره وقاموا بالترحيب به، مع كرم الضيافة المتبع من عشاء والشاي والقهوة والشيشة وكل هذه الأمور، وأتى الشاب إليه، فوضع صالح يده على رأسه الشاب، وراح يلقى عليه الرقية الشرعية، ثم تمتم ببعض الكلمات الأخرى، وأخذ كوبا من الماء وقرأ عليه القرآن،

وطلب منه أن يضيف هذا الماء على حلة من الماء ويغتسل بها، ثم قال له: أدخل إلى عروستك الآن، وأنا جالس مع إخوتك، ثم أبلغنا بالنتيجة يا بطل. ضحك الجميع، فقال له أخوه مازحا: بيض وشنا.

ضحك الجميع وقالوا: خير إن شاء الله

قام الشاب ليفعل ما طلب منه، وهم جالسون يشربون الشيشة والشاي والقهوة، ويتحدثون عن ما حدث لهم أمس أمام بئر برهوت، وكيف أن الركائب غيرت اتجاهها عندما أسرعت، وكأنها تركب الريح، لدرجة أنهم من سرعتها سقطوا على الأرض.

بعد ساعة خرج الشاب سعيدا، وقام بتقبيل صالح وتقبيل رأسه ويده، والكل يضحك فرحا من فرحة العريس ومن سعادته العفوية والطريقة التي عبر بها عن السعادة، والطريقة التي لا يوجد بها شيء من الكياسة والهدوء، ولكنها تحوي اندفاعه من الفرحة، فقد شفي مما حدث له، وأنه على ما يرام.

ارتفعت الزغاريد في الدار وكأن يوم العرس هو اليوم، فالكل يشكر صالح ويقبله، وحاولوا إعطائه مال، لكنه رفض بشدة، فهو يفعل هذا لوجه الله ومساعدة للناس، ثم قام صالح واستقل الماكينة للعودة الى قريته.

****

كان صالح في قمة السعادة لما حدث للفتى من سعادة الآخرين، حمد الله أنه وفقه في عودة البسمة لهذا الشاب وإسعاده وإسعاد زوجته وأهله، وتعجب كيف يقوم بعض من الناس وبالقرآن بتدمير أناس آخرين، ويحاولون أيامهم إلى سواد من أجل المال، الذى سيكون نارا تكوى قلوبهم لأنهم لا يعرفون الله، فكيف يقوم شخص باستخدام آيات الله في تدمير شخص آخر؟ أين قلبه؟ وأين عقله؟ ولم لم يفكر في غده؟ وماذا سيقول لله وهو بين يديه؟.

تذكر أثناء عودته القصة القديمة التي رواها له والده عن أن هذه المشاكل معتادة ومكررة، فأصحابها بلا قلب وبلا دين، وأن هناك أناس يهون الضرر ولا يفكرون إلا في ضرر الآخرين، والقصة القديمة تقول: كان هناك صديقان يعملان في حراسة أحد الأجران الخاصة بأحد الباشوات، والجرن هو مخزن الغلال، وكان رجل منهما على علم بهذه الأعمال السفلية، وربط صديقه الذى بجواره في حراسة الجرن. وكانت الكارثة أنه ربطه على نجمة في السماء، وكانت هذه النجمة لا تظهر إلا كل عشرة أعوام لمدة يومين فقط، وفى اليوم الثاني كان سيقوم بفكة كنوع من المزاح بينهما، لكن الكارثة حدثت في اليوم التالي، فقد امتلأت السماء بالغيوم، ولم تظهر النجمة ولم يستطيع أن يراها لفك صديقة، فبذلك سيمكث الرجل عشرة سنوات وهو مربوط عن زوجته.

بعد أن حدث هذا الربط، حاول الرجل المربوط البحث عن العلاج، فدار على كل الناس الذين عندهم هذا العلم، ليخرجوه من هذه المأساة، ولكن لم يستطيع أحد فكه، فسلم الرجل أمره إلى الله وطلق زوجته، وخرب بيته وأصبح خيال رجل، فرجل بلا رجولة هو الموت بعينة، وفي ليلة وبعد عشرة أعوام من المعاناة ظهرت النجمة لصانع العمل، وكان الرجلان في نفس الجرن ويجلسان معا، ما ان رأى الرجل النجمة في السماء حتى قام بفك ربط صاحبه على الفور، وكأنه وجد كنزا، ثم قال له: النجمة ظهرت، وقمت بفكك الأن. فقال له الرجل: أحقا أنني شفيت؟ قال له: نعم أنت شفيت وتم فك الربط وأنا الذي ربطتك كنوع من المزاح، فقد ربطتك على هذه النجمة وكانت النجمة ستستمر في الظهور يومين، ولكن للأسف كان هناك غيوم في اليوم الثاني ولم تظهر وكان هذا نصيبك لكنها ظهرت الأن ففككتك.

قال له الرجل حانقا: ليس نصيبي ولكنه تدبيرك وإجرامك ولعبك بالناس، لقد حطمتني وقضيت على أسرة بأكملها عشر سنوات من أجل أن تمزح، لقد طلقت زوجتي وتشردت أطفالي، فهي تزوجت غيرى، لعنك الله، ثم قام الرجل فوجه بندقيه الحراسة إليه وقتله جزاء ما فعل به.

وهذه قصة معروفة كيف أوصلت هذه الأشياء الناس إلى القتل.

-٨-

أشياء كثيرة تعتمل بعقل صالح اللحيوي في عودته بعد شفاء الشاب والسعادة العارمة التي غمرته من إنجازه بهذا اليوم، فتمنى أن يوفقه الله مع السيدة سعاد ويخرج الجان من جسدها.

فجأة أيقظته قشعريرة اجتاحت جسده كله، وأحس بتنميل يعم كل جسده، فنظر حوله وهو يقود دراجته النارية، وجد أنه أمام مقابر قريته التي يلفها الظلام لفا محكما، والصمت الرهيب يجتاحها، إذن لما هذا التغير في بدنه وهو يعرف جيدا أن هذا التنميل معناه انه يوجد شيء غير طبيعي، وهناك مخلوق غريب هو الذى يسبب هذا التغير، عفريت أو جني، لكن كل شيء هادئ، وإذا بالماكينة قد توقفت، فأحس أن شيء ما سيحدث.

كان نور الماكينة ينير أمامه الطريق، فالقرى كلها بلا كهرباء، فلم تكن دخلت بعد، وهى في المدن فقط وعلى استحياء، أدار ذراع القيادة تجاه المقابر لينيرها، لعله يرى شيئا، لا يوجد شيء، المقابر صامته والمكان خال والصمت يعم المكان، إذن ما هذا؟.

بدأ يقرأ آيات قرآنية تساعده على الخروج من هذا الأمر، فهو يعلم هذه الأشياء جيدا، ولديه خبره كبيرة، فراح يرفع صوته إلى أن هدأ جسده، وقام بتشغيل الدراجة النارية، فدارت وانطلق بسرعة.

لم يتوقف عن قراءة القرآن والآيات التي تقيه وتحفظه وبصوت عال، ربما صوته كان أعلى من صوت المحرك، وهو لا يصدق ما يحدث، إنه يمر من أمام المقابر يوميا ليلا ونهارا، هذه أول مرة يحدث له هكذا، هل لانشغال عقله بقصة الركائب التي غيرت اتجاهها واسقطت راكبيها هي سبب القشعريرة؟ لكن لماذا هنا أمام المقابر؟ كان يمكنها أن تحدث في أي مكان أخر، وهو مازال يفكر ويتلوا، فجأة سقط بالدراجة وأرتطم بالأرض، أمام بئر برهوت.

ماذا يحدث؟ نظر حوله، فوجد نفسه أمام بئر برهوت، فانزعج وأحس أن مصيبة على وشك أن تخيم على القرية وعلى الناحية كلها، إنه شيء غريب حقا ومريب جدا، هل هناك شيء جديد.. إن المقابر من وقت ردم البئر وهى نظيفة، ولم يسمعوا عن شيء بها، ولا يوجد بها أشباح أو أرواح، وكانت الجنية تمرح بها كما قالوا وانتهت القصة بردم البئر.

قام صالح واوقف الدراجة، وركبها وادارها ثم نطلق بها، ولكن المفاجأة التي هزته وجعلت جسده في قشعريرة دائمة هو الصوت الذى نادى عليه، إنه نفس الصوت الذى تحدثت به السيدة سعاد، نفس القوة، نفس خشونة الصوت، والغريب ما قاله هذا الصوت: يا صالح ابتعد عن سعاد، ابتعد يا صالح وإلا دمرتك أنت وأسرتك بل وقريتك.

راح الصوت يطلق صراخا مدويا، لكن صالح بدأ يقرأ آيات تصرف هذا المخلوق الكافر إلى أن وصل بيته، وهو في شده التعب النفسي، إذ كيف يتتبعه هذا الجني وكيف يراقبه؟، نعم هو يعرف اسمى وناداني به عندما قمت بتحضيره، وقال إنه يعرف عنى كل شيء، دعى الله بالستر والقوة، فهو على وشك في حرب كبيرة.

دخل صالح بيته وترك الموتوسيكل بالخارج، فلم يقوى على إدخاله

***

دخل صالح بيته وهو منهك، وجسده لا يحمله، وكأنه أتى من هوة عميقة، استقبلته زوجته زينب في حالة هلع مما ألم به، فملابسه يعلوها التراب، فقالت زينب: ما حدث لك ولملابسك؟ ما كل هذه الأتربة؟ هل سقطت بالماكينة؟

أشار صالح برأسه أي نعم، وذهب ليستحم، سألته: أأجهز العشاء؟ فأشار بالرفض وقال: شاي فقط.

انتظرته وإحساسها يقول أن هناك شيء حدث، إنه يقود دراجته منذ أكثر من عشرين سنه، لا يمكن أن يكون سقط بسبب القيادة أو الطريق، فهو يستطيع تفادى أي شيء بالطريق، فهو غير متهور وعاقل جدا في كل تصرفاته، لابد شيئا آخر قد حدث، ذهب إلى

السرير لينام، وطلب الشاي بالسرير، فحاولت زينب أن تعرف ما حدث، لكنه قال لها: في الصباح، أنا متعب والصباح رباح.

-٩-

في الصباح حاولت زينب أن تعرف ما حدث له بالأمس، لكنه ارتدى ملابسه في سرعة، ووضع الطربوش وقال لها بهدوء: بعدما أعود من العمل سوف أحكي كل شيء، فيجب ألا اتأخر، فقالت زينب: والفطور؟ فأجابها أنه سيتناول إفطاره بالعمل فهناك فول وطعمية ساخنة، ثم ركب الماكينة وانطلق.

****

لم تسترح زينب لما حدث لزوجها، وراح قلبها يحدثها بأن هناك أمرا قد حدث، وبدأ يقتحمها الخوف على زوجها، فراحت تحلل الموقف، فلو كان زوجها سقط بالموتوسيكل لاصطدامه بطوبة أو عبور كلب أو قط أمامه فجأة، فهذا لا يشينه ولا ينقص من رجولته شيئا ولا يحزنه ولا يجعله ساهما بهذه الطريقة، بل هناك أمر آخر، هل تشاجر مع أحد؟ وكيف يكون هذا وهو صهر العمدة إبراهيم الرفاعي كيف يجرؤ أحد على هذا؟ غير أن صالح محبوب للجميع والكل يحبه ويحترمه، وهو يخدم الناس بلا مقابل ولم يأخذ مليما واحدا من أحد مقابل خدماته لهم، فدخله من عمل يده فقط، لا إن هناك شيئا ما.

ما أن خرج ابنها إلى المدرسة مع محيسن الخفير حيث كان يأخذه هو وابن خاله صالح ابراهيم الرفاعي على الركوبة إلى المدرسة

وعند العودة يذهب ليعود بهما، فذهبت إلى أخيها، فهو صديق عمره، وسيجعله يتكلم ويحكى عما حدث له، فهو العمدة وعين أعيان الناحية وكبيرها، فكيف يحدث اعتداء على زوجها؟ فليتصرف ويفتح صندوق زوجها.

***

ما ان وصلت زينب إلى أخيها العمدة حتى اندفعت في الحديث، وكأنها مدفع رشاش حكت له كل شيء، وعلى وجها كل علامات الخوف والفزع، فهدأ العمدة من روعها وربت عليها وقال لها: كل شيء سيكون على ما يرام ولا تخافي. فقالت له: حتى الطعام رفض تناوله. فقال لها: هذا غير صحيح لأنه تناول العشاء عند عائلة الشايب، فلا يمكن أن يفر أحد من العشاء وكرم الضيافة، أما عن الفطور فهو تعود أن يأكل بالعمل من المطعم الذي يعد له وجبه الفطور من طعمية ساخنة وفول محوج وخبز ساخن، هل أحد يترك هذه الوجبة يا زينب وقد تعود صالح عليها؟ الموضوع ببساطة أنك من خوفك عليه أحسست بكل هذا الإحساس، وكل هذا مجرد تخمينات منك فقط، وكل شيء سنعرفه منه لا شك فلا تخافي.

هدأ ابراهيم الرفاعي أخته، وراحا يشربان الشاي معا فهي أخته الوحيدة، وزوجها هو صديقه الوحيد والحميم، وسألها وهو يبتسم:

بتحبيه أوى كده يا زينب؟ فردت وهي تضحك: طبعا مش أبو ابني وأبو اللي في بطني وجاي في السكة، وانت يعني بتكره أم صالح مراتك؟ فضحك الاثنان وقال لها: يا زينب سآتي إليكم عندما يعود ونتغدى سويا وأعرف منه كل شيء، فقالت له: حينما يصل إلى الدار سأرسل لك إبراهيم، فضحك وقال لها: أنا لست بحاجة لكي أعرف أنه وصل، حينما يصل زوجك يا زينب القرية كلها تعرف من صوت الموتوسيكل الذي يجعر وهو يسير، أنسيتي أنه الوحيد في الناحية الذى يملك هذه الماكينة؟ فضحك الاثنان، وعادت زينب إلى بيتها وقد هدأت بعض الشيء.

***

اقترب صالح من إنهاء عمله أمام المحكمة الشرعية، وهو لا يدري كيف أتم عمل الناس اليوم، وما هي الخدمات التي قام بها للزبائن، إنه كان في عالم آخر، كان يعمل بلا عقل، لأن عقله كان في مكان آخر، كان يفكر في الصوت الذي جاءه من أمام بئر برهوت، وكان يعمل وكأنه بداخله صالح آخر يعمل إلكترونيا، كان صالح مشغول جدا بما حدث له حينما سمع هذا الصوت عند البئر، فالصوت هو نفس الصوت الذي كان تتحدث به سعاد، هذا الصوت لابد أن يكون دائما عن طريق وسيط، لكن كيف تحدث مباشرة دون وسيط؟ ويهدده

ويقول يا صالح أبعد عن سعاد ويحذره وينذره أيضا، حادثة لأول مرة تحدث معه، وربما لم تحدث مطلقا.

أن الجني ينادى ويتحدث في الخلاء ودون وسيط وينادي على شخص ويهدده كيف يحدث الحوار بلا وسيط؟ كل ما يروى أن الناس ترى أشباحا تجرى وهذا كل الموضوع، أو أن يحس بتنميل في جسده ويحس بالخوف لا أكثر من هذا.

لكن تتحدث وتهدد فإنها جديدة. فضحك وقال: دي بلطجة عفاريت، ولكنه لا يعرف كيف حدث هذا وماذا سيفعل هو؟. لذلك ما أن أنهى يومه حتى ذهب إلى المعلم دعبس صاحب المقهى ليبلغه أنه أنهى موضوع ربط العريس الذى طلبه منه، ويسأله عن عم نور النوبي متى سيأتي لأنه متغيب عن المقهى منذ ثلاثة أسابيع، ففي داخله يحس صالح أن نور النوبي بما يعلمه من روايات وما يحكيه عن الجان والعفاريت من قصص، ربما تكون مرت عليه قصة مثل هذه الكارثة.

دخل صالح أفندي القهوة واتجه إلى المعلم دعبس، فسلم وجلس مع حفاوة دعبس الكبيرة له، فهو يرى والده جعفر اللحيوي فيه، وأيضا صالح يرى والده في دعبس فهو صديقه، فالحب متبادل بين صالح ودعبس لنفس السبب، سبب واحد فقط هو جعفر اللحيوي الرجل

الصالح، فقال صالح: يا عمي دعبس لقد شفي الله عريس عائلة سلامة الشايب بكفر سعد وتم فك الربط والحمد لله. فرد دعبس: الحمد لله يا صالح أنت صالح وفعلا رجل صالح مثل والدك الذي خلف لم يمت، فسأله صالح: متى يأتي عم نور النوبي؟ إن له أكثر من ثلاثة أسابيع لم يأت، فلعله خيرا، أجابه دعبس: الجمعة القادمة بإذن الله، يعني بعد يومين فلقد كان مريضا وشفاه الله، وهو أيضا مشتاق إلى المقهى والحكاوي كما نحن مشتاقين إليه، فقال صالح: يجيء بالسلامة ونحن في انتظاره.

خرج صالح وركب دراجته البخارية وعاد إلى القرية، وعقله كما هو في عمل مستمر وتحليل مستمر، ولكن دون الوصول إلى أي نتيجة، ولكنه قرر أنه سوف يذهب اليوم إلى قرية الباشا ليتحدث إلى هذه المرأة والى هذا الجني، وسيدخل مع هذا الجني في معركة كبيرة لينتصر فيها الأقوى، فقوي الإيمان هو الذي سينصره الله، وسيحاول أن ينهي هذا الموضوع اليوم وأن الله معه ولن يضيعه، وقرر أن يأخذ معه العمدة وكذلك شيخ الجامع كما طلبا منه، وهو لا يدري أن العمدة سيأتي إليه وسيكون في انتظاره على الغداء.

-١٠-

سمعت زينب صوت دراجة زوجها وهو في أول القرية من صوته المرتفع، فذهبت لتجهيز الحمام له ليغتسل، وكذلك راحت تعد الغداء من وضع الطبلية وتسخين الطعام وكل هذه الأشياء، وراح ابنها إبراهيم يساعدها لأن حركتها ضعيفة بسبب حملها، وهناك امرأة تعمل في الدار تساعدها، أرسلها أخوها العمدة لخدمتها

****

جلس صالح اللحيوي إلى الطبلية وبجواره زوجته زينب وابنه ابراهيم، وإذا بالعمدة يدخل عليه ملقيا السلام، ثم جلس أمامه، فابتسم صالح ورحب به قائلا: جيت في وقتك يا عمدة، أختك عاملة الحمام اللي انت بتحبه، شكلها كدا عملاه علشانك، ضحك العمدة وقال: بلاش نصاحة، انت كنت فين امبارح؟ فرد صالح: نأكل الأول وأحكي لك كل حاجة، ما تستعجلش على رزقك.

راحوا يتناولون الغداء، وما إن انتهوا حتى توجهوا إلى المضيفة الخاصة بمنزل صالح، وراحت الخادمة تعد المشروبات، وابراهيم يجهز الشيشة، قص صالح على العمدة وزوجته كل شيء وبالتفصيل، وبكل الأشياء الغريبة والتي تعتبر خارقة لكل شيء

مألوف، وكيف يتحدث الجان بلا وسيط؟ فهو أطلعه على كل شكوكه وما يعتمل بداخله بلا مواراة.

اعتدل العمدة في جلسته وقد تحول لون وجهه وارتسمت عليه علامات القلق والخوف من المجهول القادم، وصكت زينب صدرها وصدرت عنها صرخة خوف: يا خرابي..

أكمل العمدة: يا سنة سودة، بير برهوت تاني؟ أكيد دي مجرد حيلة من الجن للإرهاب فقط، البير اتردم من سنين وخلصت حكايته.

رد صالح: المشكلة أن الصوت يأتي بدون وسيط، والمشكلة أيضا من عند البير.

العمدة: ربنا يسترها، المهم هنعمل إيه؟ موضوع البير دا لو اتفتح بياخد في وشه كثير.

أحست زينب بارتياح وسعادة أن زوجها لم يتعرض له أحد، وأن المقامات محفوظة، فبرغم أن الموضوع جد خطير، فهي لم تحضره حيث كانت طفلة، وإنه لا يتعدى أن يكون أكثر من الحكايات التي حكتها لها جدتها عن الجنية والعفاريت وأبو رجل مسلوخة، فلم تعي هذه الأحداث التي حدثت فلم تعش أحداثها، فقد كانت في الخامسة من عمرها، وربما لا تتذكرها جيدا أو لا تتذكرها بالمرة، فذهبت لتصنع القهوة لزوجها وأخيها بيدها.

رتب العمدة وصالح زيارتهما إلى قرية الباشا والتي موعدها اليوم لإنهاء هذا الموضوع، فهو لا يحتاج للتأخير بعد سماع هذا الصوت عند بئر برهوت، واتفقا ألا يذهب معهما أحد، حتى يظل الموضوع سرا بينهما فقط، لما قد يحدث فيه، فلا يريدان أن يحدث تسريب حتى ولو بدون قصد، فيرعب أهل القرية إذا كان معهما ثالث، فهما الاثنان أصدقاء ويخاف كل منهما على الآخر وعلى القرية التي تحت مسؤولية إبراهيم الرفاعي صديقه عمره وصهره، وأن يكون الذهاب اليوم بعد صلاة العشاء مباشرة، وقررا أن يكون الذهاب بالركائب أي بالحمير ولا يستخدمون سيارة العمدة خوفا من حدوث أي شيء بسبب غضب هذا الجني، فيجدون أنفسهما وقد انقلبت بهما السيارة، أو نزلت بهم الترعة، لذلك سيستعملان الحمير لأن أكثر شيء سيحدث وقتها، هو ما حدث لمن جاءوا إليه من قبل، هذا كل ما في الموضوع، فإن يسقطا من على الحمير أرحم من أن يسقطا بالسيارة في الترعة، أو تنقلب بهما في الأرض الزراعية، وقد يحدث لهما مكروه جراء هذا، واتفقا على هذا وقرراه، وحذرا زينب من أن تتكلم عما سمعته إلى أي شخص مهما كان، فالموضوع سرى جدا ولا يريدان إرهاب أهل القرية.

-١١-

خرج العمدة وصالح من القرية بعد صلاة العشاء، وكان الجو جميلا مع بداية فصل الربيع ونسماته العليلة، وكان القمر في اكتماله وضوءه الفضي يملأ المكان، فأضفى جمالا على جمال الريف والرقعة الخضراء الممتدة، وأحسا أن هذا الضوء الفضي يسري في قلبيهما، فشعرا بسكينة وهدوء جميل، وسارا يتحدثان في مواضيع كثيرة بعيده كل البعد عن موضوع هذا الجني.

فجأة أحس كل منهما بقشعريرة تملأ جسده كله، فنظر كل منهما للآخر وأحس كأنه يسأله هل حدث لك شيء؟، ومن قراءة النظرات فقط دون أن يتكلما، فقالت نظرات الخوف كل شيء، ولكن راحا ينظران حولهما في حذر، ولكن لا شيء، فالجو هادئ والفضاء خال والأرض سجادة خضراء تملأ الكون حولهما في ضوء القمر.

كل منهما هز رأسه للآخر بما يعني أن هناك شيء ما قد يحدث، وشيء كبير سيحدث وبإشارة منهما إلى أن هناك تنميل بجسد كل منهما، وراحا يتحسسان الخطوات.

نظر صالح لإبراهيم وقال له: علينا بقراءة القرآن، وأنت تعلم جيدا ماذا ستقرأ، فكلاهما خريج الأزهر الشريف، وحافظين للقرآن، وقد قرأوا كثيرا عن هذه المواقف، وما هي الآيات التي سوف تتلى،

وبدأوا في القراءة، لكن ارتعشت الحمير بهم فجأة، وراحت تقفز من على الأرض، ولفت وجهتها جهة قريتهم، وانطلقت كالريح عائدة.

حاول إبراهيم وصالح إيقافها بشد اللجام، ولكن دون جدوى، فراحت الحمير تضرب برجليها الخلفيتان مما أسقط إبراهيم وصالح أرضا.

قاما ونظفا ملابسهما وبدا عليهما أن الجني هنا بالفعل، وإلا فما فعلت الحمير ما فعلت، فقال صالح للعمدة: إذن فالمكان نجس بالجن الكافر.

قال العمدة: نعم، فالحمار يرى الجن والشيطان وحديث الرسول يقر ذلك، أتذكره يا صالح؟

أجابه: نعم، أحفظه وهو عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِذَا سَمِعْتُمْ صِيَاحَ الدِّيَكَةِ فَاسْأَلُوا اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ؛ فَإِنَّهَا رَأَتْ مَلَكًا، وَإِذَا سَمِعْتُمْ نَهِيقَ الْحِمَارِ فَتَعَوَّذُوا بِاللَّهِ مِنْ الشَّيْطَانِ، فَإِنَّهُ رَأَى شَيْطَانًا).

قال إبراهيم: عموما نحن قريبان من قرية الباشا، فهيا نكمل، ولنحافظ على قراءة القرآن.

سارا بهدوء وهما يتمتمان بالقرآن، وفجأة وجد صالح عمودا أسودا واقفا أمامه على بعد مئتي متر، عرضه متر وارتفاعه أكثر من عشر أمتار، يقف عند مدخل القرية، يكاد يغلق الطريق.

أحس صالح أن نصفه الخلفي من شعر رأسه حتى قدمه به قشعريرة شديدة، فقال هذا معناه أنه خلفي، وينتظر أن ألتفت إليه، فإما أن يصفر في أذني كما روى كثير من الناس أن عفريتا أو جنيا صفر في أذنه، وهذا يجعله يلف طوال الليل في الأرض دون وعى مسلوب الإرادة، حتى يأتي نور الفجر، لذلك لم يلتفت للخلف، ونظر إلى إبراهيم، فوجده مازال يتمتم ولكنه ينظر إلى الأرض الزراعية عن يمينه، أما صالح فالترعة عن يساره.

أدرك صالح أن إبراهيم لم ير هذا العمود، وأن الجني أتى إليه هو، فالمعركة بينهما، ولم يعرف بعد الكارثة التي تحدث مع إبراهيم العمدة، وهو بدوره يخفي عن صالح ما يرى، ظنا منه أيضا أنه هو فقط الذى يرى هذا، فقد رأى أسدا أسودا يسير بجواره وهو يزأر بصوت مرتفع، ولما رأى أن صالح لا ينظر جهة الزراعة، علم أنه لم يسمع صوت الأسد ولم يره، وإلا كان نظر جهته، إذن هذا الأسد جاء إليه وحده، فلم يقل لصالح حتى لا يخيفه، فكل منهما أخفى عن الآخر ما يحدث له ويراه رأي العين.

سارا بخطوات ثابتة، وكلما تقدما في سيرهما يرى صالح أن العمود يقل ارتفاعه، وكأنه ينزل في الأرض، وكلما تقدم كلما قل الارتفاع، وابتعد تجاه قرية الباشا، إلى أن اختفى تحت الأرض عند دخولهما القرية، وكذلك حدث لإبراهيم، فالأسد يصغر ويصغر حسب تقدمهم للقرية، إلى أن اختفى من نظر إبراهيم عند دخولهما القرية.

ما إن دخلا القرية حتى قال إبراهيم لصالح: إن كنا وصلنا للقرية بسلامة الله، فهناك كارثة في قريتنا الآن، فقال صالح: وما هي؟ فقال إبراهيم: أنسيت عودة الحمير من غيرنا؟ الآن الصراخ يملأ القرية.. فكر صالح فقال: سيقولون إننا غرقنا أو خطفنا.. لكن إبراهيم كان أبعد رؤية منه فقال: وربما قتلنا.. أخاف أن أجد القرية بأكملها هنا.

قال صالح: احنا موالنا طويل، أول ما نروح دوار عمدة الباشا نخليه يطلب البيت عندك، كل عمدة عنده تليفون، وانت تكلم الخفير اللي في المضيفة.

رد عليه إبراهيم: مفيش غير كدا، ثم أكمل: على فكرة انت شفت الأسد اللي كان ماشي جنبي في الزراعة لغاية ما اختفى؟

صالح: يا سنة سودة.. أسد؟؟ وكنت ماشي عادي كدا؟

إبراهيم ضاحكا: أخوك أسد، وبعدين دا عفريت حمار زى الحمير اللي شافته، ما هو أعلن عن نفسه، يعني اللي عمله ما يخوفناش، لأننا عارفين إنه ماشي جنبنا أو ورانا.

فقال صالح: أنا شفت مارد واقف قدامي وماشي معايا، لغاية ما اختفى بالأرض.

وصلا بيت العمدة بأمان،

وجاءتهم أصوات المرحبين من الخفر، خرج العمدة من الدار ليلاقيهم، فدخل الجميع الدوار في ترحاب كبير.

****

دخل زوج سعاد إلى حجرة تليفون عمده قرية الباشا ومعه العمدة إبراهيم الرفاعي وصالح اللحيوى، وبدأ الخفير الموكل بالتليفون بالاتصال بعامل التحويلة، وطلب منه توصيله بقرية الرفاعي، وما إن تم الاتصال، حتى أعطي السماعة إلى العمدة إبراهيم الرفاعي ليتحدث لمن في الجهة الأخرى، كان الخفير محيسن الذي يعتبر الذراع الأيمن للعمدة ابراهيم الرفاعي، وبمجرد أن سمع محيسن صوت العمدة حتى هلل: العمدة حي.. العمدة حي..

نظر إبراهيم الرفاعي إلى صالح وقال له: مش قلت لك الدنيا انقلبت في القرية، محيسن بيرقص وبيقول العمدة حي، افتكرونا متنا.

رد عمدة الباشا متسائلا: هو في إيه يا حاج إبراهيم؟ طمني..

رد عليه ابراهيم: سأقص عليك كل شيء فقط أهدئ أهل قريتي، فأكمل المكالمة قائلا: يا محيسن احنا كويسين، وزي الفل مفيش أي مشكلة.

قال محيسن: يا حضرة العمدة خد جناب زوجة حضرتك أم صالح، عايزة تكلمك ومعاها الست أم إبراهيم كمان.

ابراهيم: أيوه يا أم صالح أنا كويس ومفيش أي مشكلة إحنا زي الفل.

أم صالح: الركايب رجعت لحالها ليه؟ ظنينا حصل لكم حاجة.

إبراهيم: مفيش أي حاجة، الحكاية إننا سيبنا الركايب من غير ما نربطها، وفي حد من العيال ضربها فخافت من المكان، ورجعت للدوار ودي كل الحكاية، إحنا لسه واصلين، وعندنا شغل كثير، يللا مع السلامة مفيش أي مشاكل.

أم صالح: استنى أم إبراهيم عايزة تكلم صالح أفندي جوزها وتطمن عليه.

إبراهيم: اتفضل يا صالح أفندي، أم إبراهيم عايزة تطمن عليك.

أخذ صالح منه التليفون، وتحدث إلى زوجته وطمأنها أيضا، وأنهى المكالمة وذهب بهم عمدة الباشا إلى المضيفة.

أحضر الخفر الماء والصابون ليغتسلا من الأتربة التي بأيدهما ووجهيهما، ثم سألهم العمدة عما حدث، فقال له صالح إنه نفس الجني العاشق الذي يسكن جسد سعاد، لقد أصبحت أنا شغله الشاغل، وهذه هي المرة الثانية، يقوم بعمل هذه الأشياء معي، فالمرة الأولى أوقعني بالموتوسيكل أمام بئر برهوت، واليوم أوقعني أنا وحضره العمدة، ونحن في الطريق إليكم على بعد حوالي كيلومتر من قريتكم، بل وظهر لنا بصور مختلفة، فظهر لي كمارد، وظهر للعمدة بصورة أسد.

قال عمدة الباشا: كل دا حصل من الجني بتاع سعاد؟ وبعدين بير برهوت تاني؟ يا سنة سودة.

قال إبراهيم الرفاعي: فعلا موضوع بير برهوت مشكلة، ربنا يسترها، يللا نروح بيت سعاد، والا تبعت تجيبها يا عمدة؟

قال صالح: نروح هناك أفضل، علشان إن ربنا وفقنا وطردنا الجني أو حرقناه، نحصن لهم البيت من شر الجن الكافر.

سأل إبراهيم العمدة: يا عمدة هي من بيت مين؟ أنا أعرف اسمها سعاد صابر، من هو أبوها؟

رد الباشا: بنت صابر الجن.

فضحك الجميع من اسم والدها صابر الجن، فلقب والدها الجن ويعشقها مارد من الجن.

قال صالح ضاحكا: يعني العملية مش جديدة عليهم، الجن عندهم كدا كدا عادي يعني.

ضحك العمدة سيد الباشا وقال: هذا لقب صنعه والدها، لأنه كان شقيا في شبابه، أما عن زوجها محمود متولي، فهو من بيت متولي علي، وهم ناس غلابة.

تم إحضار العشاء، وجلس الجميع فلا يستطيع الضيوف أن يرفضوا العشاء، لأن هذا سيغضب العمدة، خاصة أن ضيفه عمدة وعين أعيان الناحية، وصالح أفندي صهر العمدة.

بعد أن تناولوا العشاء والشاي والقهوة والشيشة، قام إبراهيم وصالح ومعهم أحد الخفراء إلى بيت متولي لعلاج سعاد، ورفض العمدة أن يذهب حتى يكونوا على طبيعتهم، فلا يخجل أحد من بيت متولي مما قد يحدث في جلسة العلاج وتحضير الجني، لأن ما يحدث سيكون من الأسرار التي لا يرغب أحد من أهل الدار أن تظهر للغير.

-١٢-

أرسل العمدة سيد الباشا إلى بيت متولي علي ليبلغهم أن صالح أفندي والعمدة إبراهيم الرفاعي في منزله، وسوف يأتون إليهم بعد العشاء وواجب الضيافة، فأخذوا يعدون الجلسة ويستعدون لاستقبال ضيوف أعزاء جاءوا لمساعدتهم في شفاء ابنتهم، وذهبت سعاد لتستحم وهي تعرف ما هو المطلوب منها أن تكون على طهارة وعلى وضوء، ولبست سروالا حتى إن يتعرى جسدها، حال تشنجها، وجلست هي وزوجها وأخوها ينتظرون حضور الضيوف.

***

دخل صالح وإبراهيم وجلست أمامهما سعاد ومعها زوجها وأخاها، سألها صالح إن كان حدث لها أي شيء منذ كان عندهم، فقالت سعاد: أنها لا تذكر أي شيء، فهي لا تعلم ما يحدث لها، وحينما تفيق من الغيبوبة يخبرونها بما حدث، وأضافت أنها تعبت جدا.

رد صالح: أن كل شيء بأمر الله، ويدعو الله أن يوفقه وينجح في هذه الجلسة أن يطرد هذا الجني الكافر من جسدها أو يحرقه بإذن الله.

تحدث زوجها وقال: لقد حدثت بالأمس وبالأمس الأول واقعتان، فالمرة الأولى عندما دخلت سعاد المطبخ لتقدح الزبد البلدي، فتحوله إلى سائل كما تفعل السيدات، فوضعت الزبد بالحلة على موقد الجاز

فوق الترابيزة، وبعد أن تحول الزبد إلى سائل، والدخان يصعد منه، كانت بالمنزل هي وابنها وأمي فقط، وكانت ترتدى قميص نوم فقط، وفجأة سقطت الحلة بما فيها من سائل مغلي، وكذلك الموقد فوقها، فاشتعل القميص ونشبت به النار، فصرخت وجاءت أمي وألقت عليها ببطانية، لتطفئ النار، لكن الغريب أن النار أحرقت القميص فقط، ولم تؤثر بجسدها ولا شعرها، بل لا يوجد أثر لها.

قال صالح: دا شغل عفاريت

تعجب ابراهيم وقال: مافيش حتى لسعة؟

قال الزوج: الحمد لله، أبدا.

سأل صالح: وما الواقعة الثانية؟

قال الزوج: بالأمس جاءتها نوبة الصرع، وفوجئنا بها تصيح بصوت مرتفع، فكانت تهدد وتقول: يا صالح ابتعد عن سعاد، لا تقترب منها واتركها وشأنها، ابتعد يا صالح.

ابتسم صالح وأحس بالراحة، لأنه في هذه الموقف سمع الجني عندما أسقطه عن دراجته النارية، فالصوت الذى تحدث به الجني جاء عن طريق وسيط، لكن الصوت ذهب لبعيد بقدرة الجان التي تختلف عن قدرة الإنسان، ثم نظر إلى إبراهيم العمدة وابتسم الاثنين،

فنظر إليهما زوجها يستفسر، فقال له صالح: لقد سمعت هذا الصوت وأنا في طريق العودة من إحدى القرى عند بئر برهوت، فنفس الكلمات وبنفس الصوت الذي يخرج، إن شاء الله خير، وسيجبرنا المولى.

أحس صالح أن حجرا ثقلا وكبيرا قد ازاحة الله من فوق صدره، وأحس أنه يسير بالطريق الصحيح،. فإن كيد الشيطان كان ضعيفا كما قال الله سبحانه وتعالى، وأن كل ما ينتابه من غم وهم قد زال الآن بحديث زوجها عما حدث لها.

الحمد لله الذي أظهر له، أن ما هو عليه الخير ولا يوجد به شر، وبدأ صالح في قراءة القرآن ووضع يده على رأسها، وراح يقرأ الفاتحة ثلاث مرات، ثم بعد ذلك يقرأ آية الكرسي ثلاث مرات، وهنا ارتعد جسد سعاد، فاكمل صالح ليقرأ خواتيم سورة البقرة، فزادت الرعشة، وبدأ يقرأ سورة الإخلاص ثم المعوزتين وراح يكرر الإخلاص والمعوذتين كثيرا، وإذا بسعاد يخرج منها نفس الصوت الذي تحدثت به قبل معه وجاءه عند بئر برهوت.

كرر الجني ما حدث بالجلسة الأولى، وراح يتحدث باللغة الإنجليزية ليضيع الوقت ويضيق الخناق على صالح، ليعجزه فيجعله ييأس

وينصرف، ولكن صالح أخذ يعيد ما قرأه مرات ومرات، ويده على رأسها.

قرأ الفاتحة وآية الكرسي خواتم سورة البقرة وسورة الإخلاص والمعوذتين بصوت مرتفع، وردد معه العمدة بنفس الطريقة، وأصبحت القراءة بصوت مرتفع إلى أن صرخت سعاد، بنفس الصوت بأعلى درجة: عايز إيه يا صالح؟

صالح: عايزك تخرج

الجني: دي زوجتي

صالح: كداب يا كافر دي زوجة إنسي ولها أولاد

الجان: دي زوجتي

صالح: أخرج يا كافر

صرخ الجني بصوت مرتفع: إذا خرجت منها سأدخل فيك

صالح: أنا موافق إن استطعت

الجان: انت يا صالح مثل أبوك جعفر، ولن تستطيع أن تخرجني

صالح: انت عارف أبويا؟

الجان: وأكرهه، لقد حاربني وأخرجني قبل ذلك

صالح: كدا انت شغلتك إيذاء البشر

الجان: دي زوجتي وانا أكرهك مثل كرهي لأبيك

صالح: انه عداء بيننا وليس جديد بين البشر والجان

الجان : لن أخرج ولن تقوى علي، أنا أقوى منك

صالح: لن تستطيع والأيام بيننا، وكما أخرجك والدى أنا سأخرجك أو أحرقك، فأنا معي الله.

الجني: خلاص أدخل في ابراهيم،

ثم تحدث لإبراهيم: شفت الأسد يا عمدة؟

كان إبراهيم العمدة يرى هذه الأحداث لأول مرة في حياته، وهو في حالة ذهول من ما يرى، فقد فغر فاه وبرقت عيناه وسط صمت رهيب ولم يستطع أن يردد أي آيات، فوقف يشاهد مثل زوج سعاد، وهو يحس أنه يرى فيلما سينمائيا من عالم الخيال.

ضغط صالح على رأس سعاد وبدأ يقرأ آيات قرآنية، وبدأ العمدة يخرج من شروده، ويردد خلفه.

صالح: وَقَالَ فِرْعَوْنُ ائْتُونِي بِكُلِّ سَاحِرٍ عَلِيمٍ، فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُم موسى أَلْقُوا مَا أَنتُم مُّلْقُونَ، فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ موسى مَا جِئْتُم بِهِ

السِّحْرُ ۖ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ، وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)

الجان يصرخ وصالح مستمر: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّـهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَـٰكِنَّ اللَّـهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّـهُ سَمِيعٌ عَلِيم) (وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)

صرخ الجني: إنها زوجتي، وسوف ترى مني الويل، سأعيد إليكم بئر برهوت.

لم يعبأ صالح بقوله وظل مستمرا: قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ، وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ، لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ)

مازال الجني يهدد، وصالح مستمر في القراءة بصوت مرتفع، والعمدة يردد معه: اللَّهمَّ عالِمَ الغَيبِ والشَّهادةِ، فاطرَ السَّمواتِ والأرضِ، رَبَّ كلِّ شيءٍ ومَليكَهُ، أشهدُ أن لا إلَهَ إلَّا أنتَ، أعوذُ بِكَ مِن شرِّ نفسي وشرِّ الشَّيطانِ وشِركِهِ.

صرخ الجني: سأخرج

صالح: أخرج

الجني: سأخرج من عينيها

صالح: أتريد أن تعميها يا كافر، اخرج من أسفل ظفر إصبع قدمها الصغير

الجان: لا بل من عينها عين واحدة

يصيح صالح: لا.. ويستمر في القراءة: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلالاً بَعِيداً(١٦٧) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا لَمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقاً(١٦٨) إِلاَّ طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَداً وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيراً(١٦٩)

يصرخ الجني وصالح مستمر: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنْ الأَرْضِ ذَلِكَ لهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ(٣٣) إِلاَّ الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ(٣٤) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ(٣٥) إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعاً وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ

أَلِيمٌ(٣٦) يُرِيدُونَ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُقِيمٌ(٣٧)

صرخ الجني: سأخرج، وصالح يختم معه بأية الكرسي: اللهُ لاَ إِلَـهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لاَ تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهم وَلاَ يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاء وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلاَ يَؤُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ.

الجني: سأخرج.. سأخرج.

فجأة عادت سعاد إلى وعيها، وخرج من أسفل ظفرها نقطتان من الدم، ابتسمت سعاد لأول مرة، وسجد الجميع شكرا لله.

سعاد: أنا حاسة إنى شفيت، جسمي بقى سليم من غير تعب.

طلب صالح حلة ماء، وقرأ عليها آيات من القرآن، وطلب منها الاستحمام بها، ثم تصلى ركعتين لله، وترى هل ستستطيع الصلاة أم سيمنعها الجني؟ فبهذا سيتأكد من طرد الجني.

قامت سعاد وحملت الحلة واتجهت إلى الداخل وهم يجلسون يحمدون الله سبحانه وتعالى، ويتناولون الشاي والقهوة بعد هذا العناء، بعد حوالي نص ساعة سمعوا صوت الزغاريد من الداخل دلالة على

مقدرتها الصلاة دون منع، فتأكدت من التخلص من الجني، فسجد الجميع لله.

تأهب العمدة وصالح للعودة، ولكن أقسم أهل المنزل على أنهما لن يخرجا من الدار قبل الضيافة الكاملة، فقد قام زوج سعاد وذبح شاة صغيرة، وأقسم أن لن يعودا قبل أن يتناولا منها الطعام، وقامت النساء في سرعة بالغة وعلى رأسهم سعاد لما يعتمل بها من سعادة بإعداد الطعام، وبدا السمر وأرسلوا لعمدة قريتهم سيد الباشا وجاء وشكر صالح وإبراهيم الرفاعي.

عاتب العمدة سيد الباشا أهل الدار، فواجب الضيافة كان يجب أن يكون عنده في دواره، وهو الذي يقوم به، ولكن أهل الدار قالوا هذا من خيرك يا عمدة ونحن كبيت واحد وقرية واحدة، ثم جلس الجميع في جلسة سمر وحكايات وسعادة إلى أن انتهى كل شيء.

عاد صالح وإبراهيم على ركوبتين من عند العمدة سيد الباشا، وخلفهما اثنان من الخفر لحمايتهما، لعل هذا الجني أن يخرج إليهم، فتخيلا أنهم يستطيعون أن يضربوه بالنار.

وصلا إلى القرية مع أذان الفجر، فتوجها الى المسجد مباشرة للصلاة وعاد الخفيران بركائبهم إلى قريتهم.

-١٣-

أنهى صالح عمله أمام المحكمة الشرعية في اليوم التالي لواقعة طرد الجني من جسد السيدة سعاد، وهو لا يدري كيف أتم عمله فهو مشتت بين ما حدث بالأمس، وأنه ترك زوجته زينب على وشك الوضع، وتعانى آلامه الواضحة.

جاءه صبي المقهى ووضع له كوب الشاي، فسأله صالح: المعلم دعبس جوا؟

رد الصبي: طبعا هيروح فين.

فسأله صالح: كيف حاله؟ مزاجه وعامل ايه

قال: زي الفل، لو عايز أودي الشاي هناك تحت أمرك.

قص صالح للمعلم دعبس كل ما حدث له وبأدق التفاصيل، فهو يعلم أن دعبس لا يترك المقهى، وبذلك فهو يسمع كل حكاوي الشيخ نور النوبي راوي حكايات الجان والعالم السفلى، وكلها كما يقول حكايات حدثت بالفعل وواقعية، وليست حكاوي القهاوي للتسلية، وربما يجد عنده أي إجابة لما بعقله.

قال له المعلم دعبس: غدا موعد الشيخ نور النوبي بعد صلاة العشاء، تعالى واحكي له بنفسك حكايتك يا صالح، وربنا يسهلها وأنا موجود معاكم، ونشوف رده هو عنده كتير.

***

وصل العمدة إبراهيم الرفاعي بسيارته أمام قهوة دعبس، وبجانبه صديقه صالح اللحيوي، ودخلا المقهى وحيا الجميع وسلم على المعلم دعبس، وما إن رآهما الشيخ نور النوبي وكان يروي قصص للجالسين بالمقهى، فتوقف عن الحوار، وقال لهم: استراحة يا أحباب عندي بعض من الصحاب، فهو يعرفهما جيدا بل وبينهما صداقة.

رأى رواد المقهى السيارة الواقفة أمام المقهى والشخصان ينزلان منها حتى أحسوا أن هناك شيء هام لذلك ابتعد الجميع وتركوهم وحدهم للحديث، فبعد السلامات والترحيب، قال الشيخ نور النوبي أن المعلم دعبس قص عليه القصة من أولها إلى آخرها، وأن هذه القصة تحدث كثيرا، سألاه: ماذا سيكون رد فعل هذا الشيطان؟.

فقال لهما: أن هناك أكثر من طريق سيرد بها، هذا إذا رد أصلا.

نظرا إليه هازين رأسيهما لكي يكمل وهما منصتين.

قال: سأقص عليكما قصة حدثت لتحكما، كان هناك رجل مثلك يا صالح يفعل الخير ولا يبالي، وقد أخرج جني من جسد امرأة، لكن الجني لم يتركها له، ولأن الرجل كان قوي الإيمان وحافظا للقرآن ورجل خير، فلم يستطع أن يفعل به شيئا، وانتظر الجني حتى مات الرجل، وأثناء غسله شعر من يقومون بغسله أن هناك خيالات تسير حول الجسد، وأن درجة الحرارة عالية وكأنها أبواب جهنم فتحت عليهم، ولا يستطيعون الوصول إليه فهناك أشياء تمنعهم، فظن الجميع أن هذا الرجل كان غير صالح وأنها سوء خاتمة. وكان في القرية رجل شيخ صالح يعرفونه وهو يعرف هذا المتوفى جيدا، فاستدعوه وما أن دخل الشيخ على الجثة حتى أحس بالشيطان، فقال لهم: إنه هنا، فسألوه: من هو يا مولانا؟

فقال: الشيطان اللعين، الجني، إنه هنا وهذه رائحته النتنة.

فسألوه: ومن أين لك هذا؟

قال: كنت أعلم أن هذا الجني لن يتركه وشأنه، فهذا الرجل الصالح قد أخرجه من جسد امرأة، ولم يستطع الجني التغلب عليه، لأنه كان محصن بالقرآن وعمل الخير، فجاء الآن ليلوث سمعته.

بدأ الشيخ يتلو بعض آيات القرآن التي تصرف هذا الجني، فخرج وتطهر المكان وانقلبت الغرفة من حر إلى نسيم ورائحة جميلة وكأنها الياسمين، فهذا حدث وهذه طريقة.

نظر كل منهما للآخر وتعجبا، وقالا: أينتظر كل هذا الوقت من أجل أن يلوث سمعة الرجل الطيب لمجرد أخذ الثأر؟.

فقال: نعم لأنه جني كافر. وهناك طرق كثيرة، فقد يحاول هذا الجان أن يؤذي أحدا من الأسرة، لأنك أقوي منه بالإيمان، فلن يقدر عليك، أو يحاول أن يعرقل عملك ومصالحك، أو يحاول أن تكون كوابيس ومشكلات في البيت، فلا يتركك في حالك فكن حذرا، والحل الوحيد يا بني قراءة القرآن في البيت، والمواظبة على الصلاة والأذكار لكل أهل البيت، فهي حصن حصين للمؤمن، وربما لا يحدث شيء، وهذه الحالة هي الأكثر، فليس في كل الحالات ينتقم الجني، لأن هناك حالات كثيرة جدا لفك السحر والشفاء من المس المعروف بالجن العاشق، فلو كان الرد في كل الحالات، لمات الجميع، فتوكل على الله يا صالح، أنت اسمك صالح ورجل صالح فلك من اسمك، ومثل أبيك جعفر اللحيوي صديق العمر رحمه الله.

***

توقفت السيارة أمام البيت بعد أن عادا لقريتهم قرية الرفاعي، فوجدا أن هناك حركة غير عادية أمام بيت صالح، وشيخ الجامع يجلس على باب بيت صالح ويقرأ القرآن، فأحس أن هناك شيئا قد حدث، وأن كلام الشيخ نور النوبي سيتحقق، ولكنه بسرعة فائقة هرول إلى الدار، فقال له شيخ الجامع: إن زوجتك تلد يا صالح.

هدأت نفسه وقبل أن يدخل جاءه من الداخل صوت الزغاريد، تعلن عن قدوم مولود جديد، ووجد إحدى السيدات تخرج مسرعة وتقول له: مبروك يا صالح أفندي ربنا رزقك ببنت زي العسل.

ابتسم صالح وقال: إذن هي زينب، فضحك الجميع

وقال الشيخ: دا كدا هتكون حبيبة أبوها أكتر من أي حد.

ضحك صالح وقال: على الآخر يا شيخ، ثم أردف صالح: أعلن يا شيخ أن غدا يوم وليمة والكل مدعو.

رد العمدة مقاطعا: أنا العمدة وخال المولود، وليمة الغد أنا الذي سأقوم بها، فضحك صالح وقال: موافق، وأنا أقوم بوليمة سبوع الطفلة.

-١٤-

مرت عده شهور. وكل شيء هادئ وكأن شيء لم يكن، ونسى صالح اللحيوي الأحداث الماضية، فهو يمارس عمله دون خوف، فقد مر ما يقرب من تسعة أشهر.

كذلك العمدة إبراهيم الرفاعي نسى ما مضى، والطفلة زينب بدأت تخطو أولى خطواتها، والعمدة قال هي عروس ابنى صالح، فكما أخذ صالح أختي زينب، نعيد ما كان، ونأخذ ابنته زينب لصالح الرفاعي، وكانت جلسة جميلة ملأها السرور وأسعدت الأسرتين.

عمله أمام المحكمة يسير بانتظام، وخدمة الناس الذى لا يتوانى عنها تلبية لحاجاتهم، والجلسات المسائية بخلوة الجميزة ثابتة لا تتأخر، فالجميع يفرغ فيها تعب اليوم كله.

***

دوت صرخة عالية قطعت سكون الليل ومزقت أستاره، وأفزعت جلساء الجميزة فصاح الجميع معا: يا ستار يا رب ما هذا.

هب العمدة واقفا، وقال: هذا صوت الخفير دقدق، ماذا حدث له؟ فهبوا جميعا إليه باتجاه الصوت، وكان بعيدا عن القرية نسبيا وعلى شاطئ الترعة.

عندما وصلوا إليه وجدوه ملقى على الأرض، وعيناه جاحظتان في رعب شديد، وجسمه يرتعش بالكامل، فسأله العمدة عما حدث، ولكنه لم يرد، نظر إلى العمدة وعيناه مفتوحتان والرعب مرسوم على وجه، فأمر العمدة بحمله إلى داره، ليعرف هناك ما حدث.

تم تغطية دقدق جيدا في سريره بأكثر من غطاء، لتنتهي الرعشة التي تملكته، هدأ قليلا لكن عيناه كما هي مفتوحتان،

سأله العمدة: ماذا حدث يا دقدق؟

رد دقدق بصوت متقطع متلعثم: شف.. تها

العمدة: شفت إيه يا دقدق؟

دقدق: الجنية، نار طالعة من عينيها الحمرا، وإيديها ظوفرها حديد، شكلها مرعب، ونادیتني باسمي تعال يا دقدق، لكني لما شفتها، استعذت بالله، ولقيت نفسي واقع على الأرض.

فنظر العمدة إلى صالح اللحيوي وهزا رأسيهما وتمتما: ربنا يسترها. ثم خرج الجميع.

في الصباح دوى في القرية صراخ وعويل، لقد مات دقدق.

خيم على القرية الحزن والخوف من الغد، فالجميع مرتبك، وعلى رأسهم إبراهيم الرفاعي عمدة القرية والمسؤول عنها، وصالح

اللحيوي اللذان عاشا التجربة الماضية، وعلمه أن هناك قصة طويلة ستحدث.

حينما أتى الطبيب للكشف على الجثة، لاستخراج تصريح الدفن وجد عيناه بهذا الجحوظ، فقال لهم: أنه مات رعبا، فقد تعرض لرعب قاتل، ويعتبر قتيلا.

رد العمدة: يعني إيه يا حضر الباشا الحكيم؟

رد الطبيب: يعني عايزين النيابة، حضرتك تروح تتصل لنا بالمركز يبعتوا النيابة، فأنا لن أعطي تصريح بالدفن مع وجود شبهة.

العمدة: هو فعلا تعرض لرعب، هو قال ذلك وعندنا الشهود أن الجنية ظهرت له ليلة أمس.

ضحك الطبيب: جنية إيه يا عمدة؟ أنتم لسه عايشين في الخرافات دي؟ النيابة تيجي وتقول اللي هي عايزها.

جاء وكيل النيابة، وقيل له نفس الكلام لكن وكيل النيابة ورغم رفضه لهذه الخرافات المنتشرة في الريف صمت، فهو لم يجد أي شبهة جنائية ظاهرية، إلا أنه مات من الخوف الذي أثر بدوره على هبوط حاد في الدورة الدموية فكانت النهاية، وتم عمل التصريح بهبوط حاد بالدورة الدموية، أدى إلى الوفاة.

دفنت الجثة وأصبحت القرية تعيش كابوسا جديدا من الخوف، اسمه عودة الجنية، وانتشرت قصة الخفير دقدق في جميع القرى المجاورة، وأصبح حديث الناس أن هناك جنية في قرية الرفاعي تحصد الأرواح، ولابد للقرى تحصين نفسها، فأصبح لا يخرج أحد من القرية أو يدخلها بعد أذان العشاء.

أصبح الجميع يذهبون إلى الحقول مع الشروق، ويعودون مع الغروب، وامتنعوا عن التأخير لبعد الغروب، والتزموا العودة قبل الظلام.

دخلت القرية في حظر تجوال غير رسمي من بعد صلاة العشاء وحتى صلاة الفجر، بسبب حادث دقدق، وخرجت خلوة الجميزة من هذا الحظر وأصبح الرفاق الوحيدون الذين يجلسون من بعد صلاة العشاء إلى ما بعد منتصف الليل بجوار الجميزة في جلستهم اليومية بالراكية والمشروبات والشيشة، وكان حديثهم الوحيد عن الجنية وعودة بئر برهوت، وهل الخوف يؤدي إلى الموت بهذه البساطة وبهذه السرعة؟ وكيف سيخرجون من هذه الكارثة؟ وما هو السبيل إلى النجاة؟

- ١٥-

ظهر عن بعد رجل يركب حماره ويدخل القرية، ويقترب من خلوه الجميزة، كان ذلك بعد صلاة العشاء في جلستهم اليومية التي تحولت من جلسة سمر وفرفشة، إلى جلسة ترتيب واستعداد لما سيفعلونه لحماية القرية، اقترب منهم وألقى السلام، ثم جلس وبدأ يعرفهم بنفسه: أنا اسمي محروس الضبع وآتيت إليك يا صالح أفندي أقدم خدماتي لنحاول أن نعبر مشكلة بئر برهوت وما ظهر فيه من جديد، فقد كان كل عملي أنني أقوم بربط العرسان كنوع من المزاح ثم أفكهم مقابل خمسين قرشا، وكانوا يدفعون ليطمنوا على أبنائهم، ولو العريس هو الذى جاء بنفسه كنت آخد الجنيه كاملا، ولكن ما حدث في عائلة سلامة الشايب حينما قرر أخو العريس أن يقتل الذي فعل هذا بأخيه، فأنكرت علاقتي بموضوع الربط. فالحياة ليست لعبة، وعلمت أنك ذهبت وفككت هذا الربط بلا أي مقابل، أحسست بمدى الجرم الذي كنت أقوم به، وهو أن تفقد الرجل رجولته أمام زوجته، والحمد لله لقد تبت إلى الله وجئت أضع كل إمكانياتي معك لنحارب الجنية سويا.

رحب صالح به ورحب الجميع به وقالوا هذا موقف نبيل، ونفكر معا لنري كيف نعبر هذه الأزمة وننهي موضوع الجنية، لتعود إلى حيث جاءت.

قال صالح: علينا أن ندرس الأمر لنعرف ما هي الأشياء التي تخاف منها الجنية، والتي تمكننا من اتقاء شرها وصرفها، فمثلا نعلم الناس من أراد الخروج بعد غروب الشمس ألا يكون بمفرده وأقل تقدير أن يكون العدد اثنين، لأن الجنيه لا تظهر للاثنين.

أبدى الجميع الموافقة على هذه النقطة، وخاصة أنه هو والعمدة حينما كان معا لم يستطيع الجان أن يظهر لهما، ولكنه ظهر وتمثل لكل واحد على حدى، وبذلك لم يستطع أن يفعل معهما أي شيء.

قال العمدة سيجعل في كل جانب من القرية حرسا، فمثلا على جانب الترعة نجعل في أول القرية من الترعة، وفي آخر القرية من الترعة في كل جانب خفيران، يسيران ذهابا وإيابا وإذا شاهدا أحد يسر منفردا ذهب معه أحدهما، حتى لا يسير بمفرده، فتنفرد به الجنية، ويتم تنفيذ الاقتراح في نهاية القرية من جهة الأراضي الزراعية، وشباب القرية من أراد الانضمام إلى هذه الدوريات فلا مانع.

قال صالح للضيف محروس: هل عندك معلومات عن الجنية مثل الأشياء التي ترهبها والتي تصرفها؟

فقال محروس: هناك حديث عن رسولنا ﷺ أنه حبس الجان وهو (عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: "إن عفريتًا من الجن تفلَّت علي البارحة -أو كلمة نحوها- ليقطع عليَّ الصلاة، فأمكنني الله منه،

فأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: رب هب لي مُلكًا لا ينبغي لأحد من بعدي".)

فقال العمدة: لكنه حديث ضعيف وهناك من يقول أنه مكذوب.

فرد صالح: حتى لو كان كذلك، ففيه معلومة أن الجان تمثل في صورة إنسان واستطاع أحد أن يسيطر عليه، فلن يستطيع أن يعود إلى حالته، إلا إذا تركه الشخص المسيطر عليه، وعلى هذا لو قتل وهو في صورة غير صورته إنسان أو حيوان أو جماد سيموت.

محروس: نعم، إذا تمثّلت الجنيّة في شكل آدمي فإنها تصبح عرضة للأذى الجسدي مثل أي إنسان عادي، بما في ذلك الإصابة أو القتل بالرصاص.

بدأوا يضعوا الخطط وطرق الحياة القادمة في القرية، حتى لا تحدث كارثة أخرى، ويقع دقدق آخر، فحماية الأرواح هي كل عملهم وما يتمنون إنجازه.

****

تحولت قرية الرفاعي إلى ثكنة عسكرية، فتجد من بعد العشاء الخفراء يمرون أمامها مثنى مثنى، ذهابا وإيابا من أول القرية حتى

آخرها بمحاذاة الترعة، فتجد اثنين يسيران من البداية إلى النهاية، يقابلهم اثنان آخران من النهاية إلى البداية، وبنفس الطريقة في الجهات الأربعة وكل خفير يحمل سلاحه، ومعهم الأمر إذا رأوا الجنية أن يضربوا في المليان.

فتح باب التطوع للشباب ممن فوق الخامسة والعشرين، لينضموا الى دورية الخفراء لحماية أهل القرية.

سارت الحياة في القرية متعلقة بالنهار فقط، تبدأ مع الشمس وتنتهي معها وجلسه الجميزة هي الوحيدة الساهرة لأنها جلسة قادة العمليات، وكأنها المجلس العسكري للقرية، فكانوا يمرون على الدوريات بنفس القانون مثنى مثنى، وكان أهل القرية يصنعون لهم وجبات لتقويتهم وشد أزرهم، فأصبح التطوع هدفا ومطمعا من ما فيه من أكل وشرب.

****

أصبح محروس الضبع رجلا من رجال قرية الرفاعي، وأحد أفراد المجلس القيادي للقرية، وأعطاه العمدة غرفة مجهزة ليبيت فيها حيث ترك بيته وقريته وكرث نفسه لخدمة القرية، والمساهمة في إنهاء كابوس الجنية، لعل الله يمحو بهذا العمل ما قام به من أخطاء وذنوب.

في كل جلسة من جلسات المساء تحت الجميزة ومع القهوة والشاي والشيشة بعد وجبة العشاء بما تحويه من أطعمة، تقدح العقول وتتولد الأفكار.

فقال محروس: الجنية تخاف من النار، لماذا لا نشعل بجوار البئر راكية نار؟ أو نضع كلوبات طوال الليل، وبهذا لن تخرج من البئر.

العمدة: وهل سنظل هكذا إلى متى؟

رد شيخ الجامع: القرية تحتاج للكهرباء، أنت يا عمدة أبلغ المسؤولين بطلب ولو عمودين إنارة واحد أمام المقابر والثاني عند البئر.

العمدة: فكرة جميلة، نطلب وعندنا السبب، شخص مات، يعنى هناك ضحية.

صالح: إلى أن يتم تنفيذ أحلامنا ماذا سنفعل؟

محروس في حماس: أنا سأجلس قريبا من البئر بجوار الراكية أو الكلوب وأقرأ التعاويذ وآيات قرآنية لصرافها، فقط يكون معي خفير واحد.

العمدة: وسيكون مسلحا أيضا.

-١٦ -

جلس محروس الضبع على مقربة من بئر برهوت، وأمامه الراكية من الخشب المشتعل بنارها العالية وبجواره أحد الخفراء مسلح ببندقيته، كان الجو صيفيا والقمر منحسر، حيث كان الشهر العربي في طريقه للرحيل، راح يقرأ التعاويذ والآيات القرآنية

فيرفع صوته تارة ويخفضه تارة أخرى، والخفير بجواره ويده على البندقة، إلى أن سمعا أذان الفجر وصوت المؤذن يملأ المكان.

مضى اليوم الأول ولم يحدث أي شيء، فكرر محروس ما حدث مرتان فأصبح له ثلاث ليال يذهب بجوار البئر، يقرأ الآيات القرآنية التي تطرد الجان أو تحرقه، كذلك التعاويذ التي تحمية من الجان، ولم يحدث أي شيء.

***

خرج الرفاق من المسجد بصحبه العمدة إلى مجلس الجميزة، ووجد صالح كل شيء معد كالعادة بواسطة الخفير محيسن، فجلسوا، وحول المجلس وقف الخفراء في انتظار التعليمات ببدء العمل، فتحدث العمدة فهو ورفاقه أصبحوا مسؤولين عن القرية، وأنهم يجلسون بجوار الترعة وملاصقين للماء بلا خوف، رغم ما يقال أن الجنية تسكن الترعة، وأنهم في سبيل حماية القرية وأرواح الناس يفعلون

كل شيء، وأعطى تعليماته للخفراء، ووزعهم على أماكنهم اليومية، وانصرف الجميع للعمل وبدأ محيسن يقدم الشيشة والمشروبات.

قال محروس أنه أمضى ثلاثة أيام بجوار البئر ولم يحدث أي شيء، بل ولم يرى ما قد يشكك في أن هناك شيئا قد يحدث.

قال العمدة: لولا أنه يثق بدقدق، فهو لا يكذب، لقال إن ما حدث له هو جريمة وليست جنية، إنهم يجوبون القرية وشوارعها، بل وجلسوا بجوار البئر ولكن لا جديد، فلا هي ظهرت وقتلناها، ولا أراحتنا واختفت.

قال محروس لصالح وهو يمد يده له: هذا كتاب كنت أحتفظ به، وكنت أخفيه لأنه فيه الطمع، فهو كتاب يتحدث عن هذه الأشياء وأشياء أخرى وقد جاءني بالمصادفة، حيث اشتريته من رجل ضمن بعض الكتب، فحينما وجدته اشتريت الكتب كلها، وأخذت هذا الكتاب وظل عندي، وما قرأته منه بسيط، فلم أتبحر فيه وأحضرته لك لكي تقرأه، فأنت على علم ومطلع أكثر مني، فخذه واطلع عليه لعلنا نصل إلى حل في هذه الكارثة.

سأله صالح: ما اسم هذا الكتاب يا محروس؟، قال: إنه كتاب شمس المعارف الكبرى.

انتفض صالح والعمدة، فهما يعرفان هذا الكتاب جيدا، لأنهما دارسين بالأزهر ويعرفونه وقد حذرهم شيوخهم من مجرد اقتناءه، فقال محروس: هذه نسخة قديمة جدا ولكن للأسف بدون غلاف.

قال العمدة: ولكن هذا الكتاب خطير جدا ومشاكله أكثر من فوائده.

فقال محروس: نعم.. ولكن نقرأ المفيد ولا ندخل على الأشياء الضارة، وبالتأكيد سنجد به كيف نصرف هذا الكائن.

فقال صالح: وأنا أوافق محروس هذا الرأي نقرأ المفيد وحسب، ولا نقرأ في كل هذه الأشياء، سنقرأ كيف نصرف الأشياء الغريبة التي تقتحم حياتنا.

أخذ صالح يفر في الكتاب وينظر إليه فقال إنه مليء بالأختام، وإنه به أبواب كثيرة، فقال محروس: نعم.

قال صالح: أنا أعلم عنه الكثير، فكتاب شمس المعارف هذا ألفه أحمد بن علي البوني، وهو واحد من أشهر كتب السحر والعلم الروحاني في التراث العربي، يثير الجدل بشدة، بسبب ما يحتويه من طلاسم، وأدعية، وأعمال تُستخدم في استحضار الأرواح والتواصل مع العوالم الغيبية، ومع ذلك، فإن الحديث عن فوائده يُعتبر حساسًا نظرًا لتداخل الجوانب الروحانية مع التحذيرات الشرعية والثقافية المحيطة بالكتاب، وأنا بحثت عنه كثيرا ولم أجده وكأنه لبن العصفور.

فقال شيخ الجامع: وما هي فوائده؟ فقال صالح: يقدم شروحًا عن علوم الحروف والأسماء، وكيفية تأثيرها الروحي، ويحتوي على رموز وأشكال تُستخدم في الطقوس الروحانية، وطرق استحضار الكائنات الغيبية مثل الجن والأرواح، بهدف طلب المساعدة أو كشف الغيب، ويحتوي على قسم كبير مخصص لما يُسمى بأسرار أسماء الله الحسنى، شرح في هذا الكتاب كيفية استخدام أسماء الله الحسنى في التأثير الروحي والقيام ببعض الطقوس الروحانية، فهذه الأسماء لها مكانة عظيمة، ويُركز على القوة الكامنة في أسماء الله الحسنى، ويدّعي أن ترديد هذه الأسماء بأساليب معينة يمكن أن يفتح أبواب الرزق، والشفاء، والحماية، أو كشف الأسرار.

****

فجأة قطع حوارهم صراخ في القرية، وأصوات الخفراء وهي تنادي: امسك.. حلق.. حوش. بل إن بعضهم أطلق الرصاص، فهم يهرعون يمينا ويسارا، وإذا بشيء كله سواد لا يظهر منه شيء، من منبت شعره حتى قدمه سواد، فرغم أنهم يجلسون في مجموعة، إلا أن هذا الشيء الأسود الداكن يجري أمامهم على بعد لا يزيد عن خمسين مترا، ويقفز في الترعة، ويدوى صوت ارتطامه بالماء في سكون الليل، ويغوص تحت الماء والكل يجري خلفه ويقول: الجنية.. الجنية.

كانوا في ذهول مما يشاهدونه، فأقبل الخفراء ومن يساعدهم على مجموعة الجميزة، وهرعوا إلى العمدة قائلين: شفناها يا عمدة، الجنية شفناها، شفتها يا عمدة وهي بتجري ورمت نفسها في الترعة.

رد العمدة: ودي جات منين؟

قالوا: طلعت من البير يا عمدة،

تعجب وقال: إزاي والبير مردوم؟

قالوا: مش عارفين يا عمدة، احنا لقيناها طالعة من البير، حاولنا نجرى وراها فراحت جارية ورامیه نفسها في الترعة.

نظر الجميع إلى بعضهم في ذهول، إنها أكثر من حكايات ألف ليلة وليلة، وكانت هذه آخر مرة يجلسون فيها على حافة الترعة بمجلس الجميزة، فالجنية الآن أصبحت في الترعة، كما أنها في البئر المردوم، وأصبح لها مكان آخر وهو الترعة الذي يقع مجلسهم على شاطئها، فأغلق المجلس من هذه الليلة خوفا أن يحدث لهم شيء.

انتقل المجلس إلى فراندة بيت اللحيوي، والتي تفتح على جلسة الجميزة لأن دوار العمدة به مضيفة لإدارة شئون القرية، ولا يوجد به فراندة

***

ترك محروس الضبع القرية واعتذر لصالح والعمدة وقال: أن لي زوجة وأولاد وليس لي أخ أو أخت يرعون أولادي إذا حدث لي شيء، فأنا أستأذن منكم وأنا في غاية الأسف والحرج، وقد قدمت كل ما أستطيع أن أقوم به لكم، ثم أخذ أشياءه ورحل عن القرية.

***

خرج صالح صباحا للذهاب إلى العمل، فمر على العمدة وسارا معا وخلفهما مجموعة من الخفراء إلى البئر، ليروا سبب ما حدث بالأمس.

كانت المفاجأة أن وجدوا البئر مليء بالمياه حتى السور الذي أقاموه حوله لحماية الأطفال، وقد اختفى الردم، وكأنه تبخر من البئر.

اغتم الجميع وكأن نهاية العالم قد حلت عليهم، أين ذهب ردم البئر؟ ومن أين جاء هذا الماء الذى جف من سنين؟ ألا يوجد نهاية لهذه المهزلة؟

عاد العمدة إلى الدوار ومضيفة الحكم، وذهب صالح إلى عمله وكل ما يدور برأسه كيف يتخلص من هذا الكابوس الكبير.

***

أصبح العمل الوحيد لصالح هو البحث عن نهاية لهذه الجنية، لأنه يعلم جيدا أنه قد يكون هو السبب في عودتها، وأن الجني الذي أخرجه من جسد سعاد هو من أعادها إلى البئر مرة ثانية، فذهب إلى كل مكان يمكن أن يجد فيه إجابة.

سأل الشيخ نور النوبي، ما الذي يخيف الجنية ويصرفها؟ وسأل كل أصدقائه من المحامين المهتمين بهذه الأشياء ويقرأون في هذا المجال، وسأل أصدقائه الذين يجلسون مثله أمام المحكمة، وسأل أصدقائه من التجار الذين يشترون منه الحبوب، والذين يشتري منهم، لم يترك مكان ممكن أن يجد فيه إجابة إلا وسأل فيه، أصبح وكأنه يقوم ببحث ومقبل على مناقشته كرسالة للدكتوراه.

-١٧-

ذهب العمدة إلى المركز لعله يجد حلا هناك، أو توفير حماية للقرية والناس التي تعددت حياتها، فهم الأمن والأمان والملاذ.

قابل المأمور وقص عليه ما حدث لهم بالأمس، وكان يتوقع أن المأمور سوف يذهل من ما قصه عليه، خاصة أن المأمور قد علم بوفاة دقدق، وما كتبه الطبيب في تقرير الوفاة.

قال له: سيادتك إحنا شفنا الجنية بعينينا بالليل، وعندي شهود، وكلنا ناس عاقلة وواعية.

رد عليه المأمور: طيب عايز مني إيه يا عمدة؟ أجي أقبض عليها..

قال العمدة: العفو يا باشا حضرتك أنا عارف بقول إيه، أنا مش مجنون، إحنا محتاجين حماية منكم، وأول حاجة محتاجينها أعمدة إنارة على الأقل عمود عند المقابر وعمود عند البير، وعمودين للقرية واحد في أولها والتاني في نهايتها بمحاذاة الترعة يعنى على الطريق.

رد المأمور: عموما سأتحدث مع المسؤولين وسأعمل كل ما في جهدي لكني لا أعدك، فالأربع أعمدة هذه تحتاج أعمدة كثيرة حتى تصل إلى القرية، فالمسافة أكثر من خمسة كيلومترات.

عاد كما ذهب خالي الوفاض، لكنه قال في نفسه لقد ابلغت المسؤولين، وأبرأت ذمتي.

***

التقى الأصدقاء المسؤولين عن القرية في منزل صالح اللحيوي وفي فراندة المنزل التي تفتح على الترعة مباشرة وبابها أمام جلسة الجميزة والمسافة بينهما حوالي عشر أمتار عرض الطريق فقط، واختاروا أن يجلسوا بعيدين عن الماء، خوفا من أن تظهر الجنية فجأة وتجلس بجوارهم، أو تهجم عليهم.

عرض العمدة ما حدث مع المأمور وأنه طلب توصيل الكهرباء للقرية لأن القرية في حاجة إليها، وقال صالح: أنه قام بسؤال أناس كثيرين، فقد سأل نور النوبي وأصدقاء ومحامون بل وقضاة للخروج من هذه الأزمة، وقد أشار بعضهم عليه بأشياء كثيرة منها التحصن وقراءة بعض التعاويذ عند البئر كما فعل محروس الضبع، وهناك من قال أن الجنية تخاف من الحديد ويمكن أن تغلق هذا البئر بالحديد.

أكمل صالح وهو يرتشف الشاي: وهذه الفكرة جيدة وتستحق الدراسة، وهذا ما أقوم به الآن، لابد أن يغلق البير بشكل جديد غير التراب، شيء لا يمكن فتحه ويكون أأمن، وهناك أشياء أخرى كثيرة كلها تدور حول هذا، وقد جهزت بعض التعاويذ التي أخذتها من كتاب

شمس المعارف وبعض الكتب الأخرى في هذا المجال من أصدقائي، وفي بيتي وجدت بعض كتب والدي تتحدث عن هذه الأشياء وحماية النفس من شرور الأرواح بهذه التعاويذ، وهي جاهزة لكي أذهب إلى البئر وأبدأ في قراءتها.

صاح الجميع: هذا كلام جميل، وقال شيخ الجامع: نعم هذا جميل ونبدأ ونقولها أمام البئر وكل واحد منا يتلوها يوم ولا نيأس، فقال العمدة: لقد اتصلت بمشايخي في الأزهر ورويت لهم القصة كاملة، وهم في انتظاري غدا، وسنذهب إليهم فهم في انتظارنا للحديث في هذا الموضوع، وسيعرضون علينا فكرهم وما قرأوه في هذه الأشياء وما سمعوه أيضا، ولعل يكون الحل عندهم.

****

خرج إبراهيم الرفاعي من داره بعد صلاة الظهر للذهاب إلى الأزهر للقاء شيخه، فموعده بعد صلاة العصر، ركب سيارته وركب معه الشيخ عويس شيخ الجامع الذى أصر أن يذهب معه، فهو يعرف أيضا شيوخا أفاضل بالأزهر.

اتجه إلى مقر عمل صهره وصديقه صالح الرفاعي أمام المحكمة الشرعية ليأخذه معه، ويذهبون إلى اللقاء المرتقب، ما إن رآهما

صالح حتى لم أوراقه بسرعة، وقفز في السيارة وانطلقت إلى القاهرة للذهاب للأزهر الشريف.

في الطريق دار حوار بينهم، فقد كان أمامهم وقت طويل للوصول للقاهرة، تحدثوا حول ترتيب الأولويات وكيف يسألون العلماء، وكيف يبحثون عن الحلول، وطريقة الحوار مع العلماء الكرام، شيوخهم الأفاضل وعلمائهم وأصحاب الفضل عليهم ومن تقبل أياديهم.

وصلوا جامع الأزهر قبل أذان العصر، فجددوا الوضوء وصلوا ركعتين تحية المسجد وانتظروا إلى أن رفع أذان العصر وصلوا، ثم اتجهوا إلى شيخهم الذي صلى بهم، وقد حضر الشيخ مع إقامه الصلاة من غرفته.

بعد السلام وتقبيل يد الشيخ والسؤال عن الصحة وكل هذه الأشياء، بدأوا يحكون القصة بكل تفاصيلها بكل صغيرة وكبيرة، ولم يتركوا أي شيء إلا وقالوه للشيخ، وكانوا إذا نسى أحدهم شيء ذكره الآخر.

ظهر التعجب على وجه الشيخ، ونادى على شيخ آخر كان يلقى الدرس للطلبة بجوار عمود قريب منهم، فأتى وسلم، وعرف القصة وضحك لعلمه بهذه الاشياء، وقد أسعد الجميع ضحكات الشيخ لأنها تعنى أنه عنده حلها.

بدأ حوار كبير، وتحليلات كثيرة، ونقاش فيما يخيف الجنية، وما تتحاشاه، وما يصرفها، وما لا تستطيع الجن أن تنفذ منه.

قال الشيخ الوافد: حظكم كويس إنها جنية مش جني، لأن الجني لا يقدر علية أحد ويتنقل بين أبدان البشر، أما الجنية فمكانها الآبار والمقابر والترع والأماكن الخربة المهجورة.

وتلخصت الطريقة. أن يقوموا بردم البئر بالخرسانة وليس التراب، وإذا كان عمقه كبيرا جدا فيردم بالزلط حتى آخر متر ونصف أو مترين من سطح الأرض، وفوقه خرسانة وبين الزلط والخرسانة توضع قطعة حديدية من الصاج بنفس قطر البئر، وقبل نهاية البير بنصف متر يتم توسيع البئر لتكون النهاية الخرسانية أكبر من حجم البئر فلا يستطيع أي شيء النفاذ من الخرسانة، فإذا كان قطر البئر مثلا مترا فيتم جعله مترا ونص بعمق نص متر، ويكون هذ هو الغطاء النهائي للبئر.

ضحك الشيخ وقال: مثل غطاء الزجاجة التي استخدمها سيدنا سليمان في حبس الجن، يعنى كما نقول عليها (فله) وبهذا لن تعود هذه الملعونة، وقبل هذا يتم قراءة آيات معينة وتعاويذ معينة أثناء الردم حتى لا تخرج منه.

-١٨-

خرج الثلاثة من جامع الأزهر والفرحة تسبقهم، وتقفز أمامهم، فالكارثة اقتربت من الانتهاء، وأصبحت كل خيوط النهاية في أيديهم، لقد هداهم الله إلى الحل وستطوى هذه القصة للأبد، فرحمة الله على الخفير دقدق.

وقف العمدة بالسيارة أمام جامع الحسين، وأخذ الرفاق إلى مطعم الدهان، فلا يمكن أن يأتي إلى الحسين ولا يأكل من الدهان، فالزيارة تكون غير مكتملة الأركان، وأكلوا بأنفس شهية وسعيدة، ثم انعطفوا على مقهى الفيشاوي مكان سهراتهم أثناء الدراسة بالأزهر، فلدى إبراهيم وصالح ذكريات بعدد شعر رأسيهما، وشربوا الشاي بالنعناع والشيشة وانسجمت الرؤوس.

سمعوا أذان المغرب يرفع فوق مأذنة الحسين، فاتجهوا إلى الجامع وأدوا صلاة المغرب، وبعدها انطلقوا عائدين إلى قريتهم عودة الفاتحين.

***

في طريق العودة دار حوار، رتبوا فيه كل شيء سيحدث في البئر من ردم زلط وخرسانة وتجهيز قرص الحديد بعرض البئر ليوضع بين الزلط والخرسانة التي ستكون آخر مترين من البئر، وقراءة التعاويذ،

وأول شيء أن تعهد صالح أنه سيقابل غدا مقاولا يعرفه جيدا، فهو يتخذ من قهوة دعبس مكتبا لإدارة أعماله، فغدا سيناقش معه الأسعار وكيفية التنفيذ وكل شيء يخص ردم البئر.

وافق إبراهيم على كل ما قاله صالح وكذلك الشيخ عويس، ثم دار الحوار في أشياء كثيرة ومتفرقة وليس لها أهمية، فقط يبحثون عن الابتسامة التي تخرج بنفس راضية كانوا قد فقدوها من مدة بسبب الجنية، بعد أن استطاعوا الوصول إلى حلول ناجحة في هذا الموضوع.

أخذهم بريق الحوار إلى أن وجدوا القرية على مرمى البصر، وأنهم قد عبروا مقابر قريتهم ولم يلحظوا ذلك، جاء صوت صالح ليوقظ إبراهيم وهو يقول: حاسب يا إبراهيم أنت كده نازل الترعة.

رد ابراهيم: أنا شايف يا صالح وصاحي، أنا فاديت الثور اللي عدى قدامي، أنت مش شايفه؟ ده داخل يقلب العربية.

كانوا في هذه اللحظة أمام البئر، وقد رأى إبراهيم أن هناك ثورا قد اتجه للسيارة لكي يلقبها في الترعة، أما الباقين فلم يروا شيئا.

رد صالح وعويس: ثور إيه يا إبراهيم؟ مفيش ثور ولا حاجة حاسب يا إبراهيم أنت نازل بينا الترعة.

بدأ إبراهيم يستخدم كلاكس السيارة لإبعاد الثور، وقد ساعدت كثرة هذه الكلاكسات في لفتت انتباه الخفراء الواقفين أمام القرية، ورأوا أنوار السيارة، فهرولوا إلى السيارة، فقد أحسوا من كل هذه الكلاكسات أن هناك مصيبة تحدث وهو يستغيث بالكلاكسات، فالسيارة أمام بئر برهوت مركز الخراب، ولا يسمع من داخل السيارة إلا صوت واحد: حاسب يا إبراهيم.

رد ابراهيم: أحاسب إيه؟ أنا دايس فرامل والعربية ماشية، افتحوا الأبواب ونطوا، مافيش وقت.

قبل أن يكمل الجملة كانت السيارة نزلت في الترعة، ووصل الخفراء إلى مكان السيارة، فقفزوا في الترعة لإنقاذ من بالسيارة، فخرج إبراهيم وصالح بمساعدتهم ولكنهم لم يجدوا الشيخ عويس.

بدأوا يبحثون حول السيارة وفي الأعشاب التي على شاطئ الترعة، ولكن دون جدوى، وكان ابراهيم العمدة يصرخ فيهم: الشيخ عويس كبير في السن مش هيستحمل، بسرعة شوية، وحد يعمل تليفون للمركز.

جرى أحد الخفراء إلى الدوار لإبلاغ المركز، وقام البعض الآخر بربط السيارة بالحبال وربطها بحمارين، وبدأوا يخرجونها من الترعة.

خرجت القرية عن بكرة أبيها لترى وتساعد في واقعة انقلاب السيارة، والكل يعلم أن الجنية هي من أسقطت السيارة في الترعة، والبعض الآخر يبحث عن الشيخ عويس في الترعة.

ما أن خرجت السيارة حتى وجدوا بداخلها الشيخ عويس في أسفل الكنبة الخلفية، فصاحوا: الشيخ عويس في العربية.

هرع إبراهيم وصالح إلى السيارة وأخرجاه بسرعة بمساعدة الناس، ووضعوه على الأرض وحاولوا إنقاذه وتصفية الماء الذي بداخله، لكنه كان قد فارق الحياة.

مات الشيخ عويس وكانت عيناه جاحظتان أيضا مثل دقدق، نفس النهاية، وكأنه يرى الجنية، نزلت الدموع من عيني صالح وإبراهيم حزنا على هذا الرجل الذي كان معهما طول يومهم، ومشاركتهما في كل مشاكلهما، ولم يتوانى عن المشاركة معهما رغم أنه قارب على السبعين.

مات بين أيديهم وبنفس الطريقة وبنفس الأيدي الأثمة، إيدي الجنية الملعونة، وفي الوقت الذي يحسون أن الموضوع قد انتهى وقد وصلوا إلى الحل، يجدون أنفسهم بعيدين كل البعد عن النجاة، بل ويسقط قتيل جديد كل جريمته أنه يحاول إنقاذ أهل القرية مما هم فيه، إلى أين نحن ذاهبون؟ وماذا تريد هذه المخلوقة من القرية؟

وماذا فعلنا بها لكى تفعل بنا هذا؟ ولماذا تفعل بنا هذا من الأصل؟ ما هي جريمتنا معها؟

بكى الجميع على الشيخ عويس الرجل الجميل شيخ جامعهم، فكل منهم كأنه يبكي على نفسه مقدما، فهم يرون هذه الجنية وهي تحصد أرواحهم واحدا تلو الآخر.

****

وصل رجال الشرطة وعلى رأسهم مأمور المركز ومعه وكيل النيابة، وخلفهم سيارة الإسعاف والطبيب، وتم معاينة السيارة بواسطة وكيل النيابة، وكذلك فحص القتيل والكشف عليه بواسطة الطبيب.

قال وكيل النيابة أنه لا توجد شبه جنائية، وقال الطبيب أنه مات بسبب اسفكسيا الغرق، وصرحوا بدفن الجثة، اقترب مأمور المركز من العمدة إبراهيم الرفاعي وقال في تهكم: أظن حتقول إن الجنية هي التي أوقعتك في الترعة، تبسم العمدة إبراهيم الرفاعي قائلا: العفو سيادة المأمور هو فيه حاجة اسمها جنية؟.

هز المأمور رأسه بالموافقة: خلاص البقاء لله. فقال العمدة يعني أخد العربية، ونأخد الأمانة؟ فرد المأمور: آه.. اتفضلوا، البقاء لله يا عمدة.

- ١٩ -

أنهى صالح أفندي عمله أمام المحكمة، وترجل إلى قهوة دعبس حيث يجلس المقاول المعلم عطية الونش، وكان يجلس خارج القهوة حيث مجلسه الدائم، فألقى عليه السلام وجلس، فهو والمعلم عطية على علاقة جيدة وبينهما صداقة وجلسات وحكايات.

قال له: عندنا عملية مستعجلة يا معلم عطية، رد عليه عطية: إحنا في الخدمة يا صالح أفندي، خير؟

أخبره أن بالقرية بئرا يريدون أن يردموه خوفا على الأطفال أن تسقط فيه، وهو مملوء بالماء وسوف نردمه بالزلط، وآخر مترين بالخرسانة، أبدى عطيه الونش تعجبه، لماذا بالزلط؟ ولماذا الخرسانة؟ ممكن ردمه بالتراب أو بناء سور حوله للحماية، فقال في هدوء: هو في إيه يا صالح أفندي؟ عرفني علشان نشتغل على نور.

ضحك صالح وقال: لا شيء، لقد قمنا بردمه بالتراب، وتم بناء سور حوله بارتفاع متر ولكن الماء صعد مرة ثانية، ولهذا أهل القرية قالوا نردمه بالزلط ويكون آخره خرسانة وخرسانة مسلحة حتى لا تخرج المياه، وآخر متر في البئر سنقوم بتوسيعه بنصف متر دائري، حتى لا تخرج المياه مرة ثانية.

قال الونش: عموما الحكاية كده حسب كلامك متستفه كويس، وأنا بكرة أكون عندك بعد صلاة العصر، نعاين ونبدأ نشون الخامات حتى لو كان فيها جنية، ثم ضحك

فقال صالح: جنية، وعرفت منين؟

فقال الونش ضاحكا: وهو المعلم دعبس خلي حد ما حكاش له، فضحك الاثنان وانصرف صالح.

****

اقترب عطية الونش من بئر برهوت على دراجته البخارية، فأحس بقبضة في قلبه، وأن الهواء حول البئر حار وثقيل وكئيب، وأحس بتنميل يجتاح جسمه فبدأ يقرأ الرقية الشرعية، ودار حول البئر بالدرجة ولم يتوقف، ونظر نظرة معاينة فقط دون أن يوقف محرك الدراجة، نظر إلى السور المبني حول البئر والماء يصل إلى آخر نقطة فيه، وذهب للقاء صالح اللحيوي في منزله حسب الموعد المحدد بينهما.

****

ذهب صالح اللحيوي وضيفه عطية الونش إلى دوار العمدة، وجلس الثلاثة واتفقوا على كل شيء، على أن يبدأ تشوين الخامات من الغد

وأن يكون يوم الجمعة القادم بعد ثلاثة أيام هو موعد الردم والصب، لأن الجمعة أجازة وكل القرية ستكون حاضرة، لأنه في حاجة للرجال كلها، وقد عدل صالح بعض الأشياء، واتفق على أن تكون قطعة الصاج المدورة على مساحة المتر ونص التي سوف يزيدوها في قطر البئر، وأن يكون عمق الزيادة في القطر بارتفاع متر بدلا من نصف متر، ليضمن عدم تسرب حتى الهواء من هذا البئر مرة ثانية، وطلب عطية الونش إخلاء البئر من المياه لإمكانية الردم.

كان الرد لدي العمدة، فأكثر من طلمبة رفع مياه تعمل بالكيروسين لري أرض العمدة والقرية جاهزة، فلا تحمل لهذا الأمر أي هم، وسنبدأ مع نهار يوم الجمعة على نزح الماء من البئر.

اتفقوا على الأتعاب، وأخذ عطية العربون وذهب ليبدأ التشوين من اليوم التالي.

***

خيم على قرية الرفاعي حزن دفين، فالهواء أصبح كئيبا والناس تجر أقدامها وأصبحوا مرتبطين بالشمس فقط في حركاتهم، يئنون تحت وطأة حظر التجوال الليلي خوفا من المجهول، فعلى كل بيت تجهيز احتياجاته أثناء النهار، فالكل يخاف الخروج ليلا.

كثرت الروايات والحكايات، من يدعى أن الجنية جاءت وطرقت علية الباب مدعية أنها صديقه فلان، فيصعد إلى السطح، فينظر ليجدها الجنية بشعرها الطويل المنكوش وعيناها الحمراء، والتي تدعي أنها نادت عليها بصوت جارتها ليبدأن الخبيز كما اتفقتا.

انتشرت الروايات كالنار في الهشيم، وأصبح الخوف سرطان يأكل القرية، بعدما انتشر في كل البيوت، وكل هذه القصص تصب في دوار ومجلس العمدة ولا يجد حلا سوى الانتهاء من هذه المأساة بأي ثمن، لقد اتفق عطية الونش على ثلاثون جنيها، أي ما يقرب من سعر فدان أرض، فسعر الفدان الآن ونحن عام ١٩٤٥ من ثلاثين إلى اثنين وثلاثين حسب موقعه من الماء.

لم يبخل العمدة بالمال لتعود للقرية فرحتها وهدوئها، وحتى تنتهى هذه الأسطورة قرر أن يكون العمل يوم الجمعة ليشهده الجميع، ويشاركون فيه حتى تنتهى الخزعبلات والخيالات، فهو في حاجة الى كل رجال القرية وشبابها ليعمل يدا بيد، ليكون لكل فرد دور فعال في حماية القرية من أي تهديد.

***

بدأ المعلم عطية الونش في تشوين المواد اللازمة للردم وصب الخرسانة، فقام بتشوين الزلط والرمل بجوار البئر، وفى آخر يوم وهو يوم الخميس قام بتشوين الإسمنت والحديد.

أما عن العمدة فقد وكل لاثنين من الخفر متابعة التشوينات، فكانا يذهبان إلى البئر كل ثلاث ساعات أو أربع ساعات للوقوف على مستجدات التشوين، حتى أتم الونش التشوين كله يوم الخميس، ولم يرسل العمدة من يحرس الخامات، فهو يعلم جيدا أنه لن يجرؤ أحد على الاقتراب من بئر برهوت أصلا، فالبئر يحمي نفسه والناس تتحاشى المرور أمامه من على بعد كيلومتر، ولا يوجد من يذهب إلى هناك لكي يسرق.

-٢٠-

مع أول ضوء من نهار الجمعة كان رجال القرية وشبابها وفي مقدمتهم الخفراء يجرون ماكينة المياه إلى موقع البئر، فهي مصنوع لها أربع عجلات، مثل العربات الكارو، ويجرها حمار ويركب فوقها الفني المسئول عنها، فهو من يديرها ويقوم بصيانتها، ثم اتجهوا في طريقهم إلى بئر برهوت.

خرجت القرية كلها عن بكرة أبيها إلى بئر برهوت، فيما عدا الأطفال والنساء حسب أوامر العمدة إبراهيم الرفاعي وصالح أفندي اللحيوي، وحول البئر التف الناس وكأنهم في تحفز ضد الجنية، فالعدد لم يكن يتوقعه العمدة وصالح وكل واحد منهم في يده الفأس الخاص به لردم البير بالزلط.

بدأ الفني في تجهيز الماكينة ووضع خرطومها داخل البئر لسحب الماء إلى خارجه، ووجه ماسورة الإخراج تجاه قناة صغيرة تمر بجوار البئر وتوزع الماء على الأرض، وبدأت الماكينة في العمل وبدأ الماء يخرج إلى القناة هاربا من البئر وسط تهليل الناس فرحا، وبدأوا يسألوا العمدة وصالح افندي: احنا هنعمل إيه؟

فرد صالح: أول ما يخرج الماء، ويصبح سور البير خاليا من الماء، سوف نكسره لنسلك طريق الخرطوم.

سمع الجميع صوت دراجة نارية قادمة، فالصوت يملأ المكان، قال صالح: إنه المقاول عطية الونش قد وصل، حضر عطية الونش واقترب منهم، وخلفه سيارة نقل تحمل العمال والمعدات الخاصة بهم، فقام صالح والعمدة لاستقبالهم.

ونزل العمال واختلطوا بأهل القرية، والجميع يراقب الماكينة وينتظرون انتهاء نزح الماء ويتابعون فراغ السور من الماء، وبعد دقائق جاءت الأصوات: السور فرغ من الماء.

فقال صالح: تصرف أنت يا معلم عطية، أنت المسئول.

أعطى عطية أمره إلى اثنين من رجاله، ووضع كل منهما في مكانه ومعهما العدة المخصصة للهدم، وما تعرف بالقدوم وخلف كل رجل منهم رجل آخر لرفع الطوب الذى تم تكسيره من السور للخارج، قبل أن يسقط بالبئر، وخلفهم ناس كثيرة تأخذه منهم، لرميه بعيدا، حتى لا يزدحم المكان.

تم الانتهاء من التكسير في دقائق معدودة، وتم إنزال الخرطوم إلى عمق أكبر، والماكينة تعمل في رفع الماء والماء يخرج بسرعة، وكأنه يفر هو الآخر من الجنية.

وقام الناس بتجهيز الشكائر المملوءة بالزلط، أكثر من خمسين شيكارة للردم، فور إفراغ البئر من الماء، وجلس العمدة وصالح

وبجوارهما اثنان من الخفراء يحملان السلاح استعداداً للجنية إذا تحولت في صورة إنسان أو ثور كما حدث لهم، واسقطهم في الترعة وراح الشيخ عويس ضحية لها، فقط العمدة يقول: اضرب سيضربان.

بدأ الحداد يجهز شبكة الحديد المصنوعة من أسياخ التسليح قطرها متر ونصف، وارتفاعها متر مليئة بالحديد لا تكاد ترى فراغا بين الأسياخ من كثرتها، والكل يساعد وكأنهم في حفل عرس، فتشعر أن الخوف الذى عشش في القلوب قد انزاح، فلقد ولدوا من جديد بهذا العمل الذى اشتركوا فيه، فالعمدة حوله إلى عمل عام لا يخص واحدا بعينه ولكنه يخص الجميع، جميع الناحية وليست قريتهم فقط فهم عرفوا أن القرى المجاورة أيضا بدأت معهم حظر التجوال الليلي وأصبح عملهم نهارا فقط ومع الغروب لا تجد أحدا خارج بيته حتى العمد، ولا يوجد لديهم جلسه الجميزة لأنه لا توجد لديهم أصلا جميزة.

***

صاح من حول البئر: قاع البئر قد ظهر والماء انتهى، فقام إبراهيم وصالح بسرعة وذهبا لينظرا داخل البئر مثل باقي الناس، وإذا بصرخات تتعالى منهم تكاد تصم الآذان.

عطيه الونش: ثعبان كبير، أكبر من التمساح. طوله أكثر من عشرة أمتار يلتف لفات كثيرة بالبئر.

ذهب الجميع ليرى، وأصبح الصراخ مرتفعا، كصراخ الجنائز، وصرخات النجاة، وإذا بالجميع أطلقوا سيقانهم للريح، وكان أول من فر الحرس المسلح الملاصقان للعمدة وصالح أفندي.

تحول المكان إلى هرج ومرج، وكر وفر، وكأنهم في حرب، أصبح حول البئر لا يوجد إلا إبراهيم الرفاعي وصالح اللحيوي، فالجميع لاذ بالفرار، حتى عطية الونش هرب هو ورجاله، وقف صالح وصاح فيهم: ارجعوا.. دا مش تعبان، دي الجنية عاملة تعبان لإرهابكم.

قال العمدة للخفر: انتوا يا شوية عيال ارجعوا، فين اللي معاهم السلاح علشان يحموا الناس؟ هاتوا السلاح وغوروا في داهية، أنتم نسوان، أنتم ما تنفعوش تكونوا خفر. لأنكم نسوان والخفر لازم تبقى رجالة.

عاد الخفراء بسرعة البرق وأولهم حاملي السلاح، محيسن وشعلان، فأخذ العمدة وصالح منهما السلاح وذهبا إلى البئر ليضربا الثعبان، وعاد عطية الونش ورجاله أيضا، وعاد الناس تباعا في خجل، وذهبوا إلى البئر يشاهدون ماذا يفعل العمدة وصالح بالثعبان.

صالح لإبراهيم: نضرب طلقتين كل واحد منه يضرب طلقة على الثعبان وبينهما وقت، والرجال ترمى الزلط فوقه بسرعة، حتى لا يتحول لجنية ويختفي، لأنه يريد أن يخيفنا ويرى ما بوسعنا.

هز العمدة رأسه بالموافقة، والناس تقف حولهما، وبدأ صالح قراءة القرآن والتعاويذ بصوت مرتفع، والعمدة يردد خلفه، والناس تردد خلفه أصبح الجميع يرددون خلف صالح القرآن والتعاويذ بكل ما أوتوا من القوة، وأصبح المكان يردد الصدى، والأصوات تهز المكان والقلوب، وبدأ صالح بأول طلقة رصاص فاختفى الثعبان فصاح الجميع: الله أكبر. الله أكبر.

بدأوا يرمون أول دفعة زلط، أشار لهم صالح أن ينتظروا حتى يروا رد فعل الحنية من أول دفعة زلط، فلم يحدث أي شيء، فأشار إليهم أن يلقوا ما في أيديهم وكانوا حوالي خمسة رجال، فالقوا، وإذا بالحياة تدب مرة أخرى بالثعبان، ويطلق فحيحا عاليا ويخرج نارا من فمه.

صرخ الرجال وعاد الجميع للوراء لتفادي النار، لكن صالح بدأ القراءة، والكل يردد بنفس القوة والحماس، ويضرب في هذه اللحظة العمدة إبراهيم الرفاعي الطلقة الثانية عليها فاختفت مرة أخرى،

ودخل خمسة رجال آخرين وألقوا الزلط بإشارة من صالح أفندي وهو جاهز بالبندقية التي ما زال بها رصاصة ثانية.

ما أن ألقى الخمسة رجال دفعة الزلط الثانية حتى ظهرت الحية مرة أخرى، فأطلق عليها صالح الرصاصة الأخيرة معه، وأعطى البندقية لمحيسن لكي يعمرها بالرصاص، وإذا بهذه الطلقة تصيب ذيل الحية فاختفت.

هلل الرجال وراحوا يكبرون فرحا بإصابة الحية في ذيلها بالرصاص: الله أكبر الله أكبر، اللهم انصرنا.. اللهم انصرنا.

أشار صالح للعمال أن يردموا ولا يتوقفوا عن الردم فلن تظهر الحية ثانية، لأنها أصيبت، بدأ الردم والرجال كخلية نحل يلقون الزلط في البئر في خفة وسرعة وسعادة إلى أن وصلوا إلى المكان الذي سيبدأ بعده الخرسانة المسلحة.

أشار عطية الونش بالتوقف، وأمر رجاله بالتقدم لكي يحفروا المساحة الجديدة المطلوبة للخرسانة المسلحة، وصالح وإبراهيم يقرأن القرآن والتعاويذ، وهناك رجال يصنعون الشاي والقهوة للرجال، وقال لهم صالح الغذاء سيأتي بعد أن نصلي الجمعة إن شاء الله، وقد اقترب أذان الظهر وبعد الظهر والغداء نكمل الجزء الأخير والأهم.

-٢١-

عاد الجميع إلى عملهم بعد أن أتموا صلاة الجمعة، وتناولوا الغذاء تلك الوجبة الدسمة التي أعدها العمدة لهم وقامت بطهوه معظم نساء القرية، فالعدد كبير والنساء تردن أن تشاركن في هذا العمل الذى يعود بالأمن على القرية كلها وبلا استثناء، بل والقرى المجاورة أيضا.

بدأ حفر المسافة التي سيزيد بها قطر البئر إلى متر ونصف بعمق متر ليوضع فيها قطعة الصاج الحديدية، ذات نفس القطر متر ونصف والقفص المصنع من أسياخ حديد التسليح وبعد إتمام توسعه فم البئر حسب المطلوب، سيبدأ في عمل الخرسانة المسلحة، وصبها في البئر وبهذا ينتهي ردم البئر وتنتهي تلك الأسطورة إلى الأبد

***

خرج الرجال من الحفرة بعد أن أتموا حفر البئر وهم يقولون: كده تمام.

نزل المعلم عطيه الونش إلى الحفرة وراجع المقاسات بالمتر وخرج من الحفرة بمساعدة الرجال على الخروج. ورفع رأسه ونظر خارج الحفرة في مواجهة القرية، فرأى كارثة لم يكن أحد يتوقعها، كارثة من العيار الثقيل.

صاح عطية الونش: حريقة.. حريقة.. إلحق يا عمدة، القرية بتتحرق

صاح العمدة وصالح: يا سنة سودة.

بدون توجيه أو إذن كان الجميع يهرول إلى القرية لإنقاذها، وكل يريد إنقاذ أهل بيته، وكانت الأصوات متداخلة لا تقول إلا: استر يا رب.. استر يا رب.

صاح العمدة في الخفر: أجري يا وله بسرعة بلغ المركز، بلغ المطافئ، خلوا المأمور يجي يشوف بنفسه اللي عمال يتريق علينا ويقول أجي اقبض لك على الجنية.

الجميع يجري لكي ينقذ ما يمكن إنقاذه، وصالح يجري مثلهم، وكذلك العمدة وما أن وصلوا إلى القرية حتى أخذ كل منهم يحمل الماء في أي شيء يمكن حمل الماء فيه من أواني وباستيلات وغيرها لإطفاء الحرائق التي تملأ القرية بأكملها، فكل البيوت تحترق لأن كل البيوت مشاركة في نهاية الجنية، فالكل مدان بالنسبة للجنية.

خلية من النحل تعمل بلا توقف، والأصوات تتداخل والصراخ والصوت يعلو، والكل ينادي على أطفاله.

النساء تبحث عن أطفالها، والرجال يحملون الماء والكل يبحث عن الكل، فكل فرد يريد أن يعرف أين أولاده وكيف يخرجون من الكارثة، إنها خراب كبير، سيأتي الحريق على كل ما يملكون، لقد دمرتهم الجنية الملعونة، ورجال عطية الونش معهم يعملون بهمه.

تفاجئ الجميع أن أهل القرى المجاورة معهم، فقد رأوا هذه الحريقة وهرولوا جميعهم إليهم ليساعدوهم وينقذوهم من هذه البلوى.

تداخلت الجموع مع بعضها، والأيادي التحمت بالأيادي والكل يطفئ الحريق الذي لا يريد أن ينطفئ، ولم تفعل معه الماء أي شيء، فالنار كما هي تخرج للجميع لسان اللهب الذى لا يخمد، وكأنها تخرج لهم لسانها.

****

أقبلت المطافئ وعربة الشرطة وبها المأمور، فرد رجال المطافئ خراطيم الماء التي ألقوا طرفها بالترعة لسحب الماء. وإطفاء الحريق ووقف المأمور وهو ينظر إلى هذا الحريق الهائل، إنه حريق جد كبير لم يترك بيتا.

أتى إليه العمدة وكذلك صالح وعلى وجهيهما آثار إطفاء الحريق وملابسهم مبللة بالماء وعليهم غبار الحريق، وكأن العمدة يريد أن

يعاتب المأمور فقال: حضرتك هتعمل محضر للجنية يا حضرة المأمور ولا هتقبض عليها؟

رد المأمور: الله يكون في عونك يا عمدة، أنا ما شفتش حريقة بالحجم دا قبل كده، اللي أنتم فيه دا لا يمكن حد يصدقه.. اعذرني.

فجأة وبدون سابق إنذار، انطفأ الحريق قبل أن تصل إليه خراطيم مياه رجال المطافئ، انطفأ بلا سبب كما بدأ بلا سبب، والغريب حقا أن كل هذه النار لم تحرق عود قش واحد، وإذا بكل شيء كما كان بلا أي خسائر وكأنه كان حلما.

هلل الجميع، وراحت النساء تزغرد، ولكن الجميع كان مندهشا كيف حدث هذا، وما الذي حدث؟ وكيف كانت كل هذا الحريق الذى اتعبهم طيلة هذه الساعة ولم يحرق أي شيء؟.

نظر المأمور لما يحدث وقال بصوت مرتفع: لا دا شغل عفاريت، أنا ماشي يا حاج إبراهيم، سلام عليكم سلام يا صالح أفندي.

قبل أن يتحرك المأمور أتى إبراهيم ابن صالح أفندي صارخا، وهو يقول لوالده: إلحق أمي سقطت في الدار ولا ترد.

هرول الجميع إلى بيت صالح وفي مقدمتهم المأمور، ودخل إلى الدار فوجد المرأة ملقاه على الأرض وبجوارها بنتها تصرخ، والنساء

حولها وقد فارقت الحياة، وما شد انتباههم جحوظ عينيها هي الأخرى، لقد رأت ما رآه من سبقوها، رأت الجنية.

صرخ صالح وصاح: الجنية اختارت من القرية كلها زوجتي، لم تحرق القرية، ولم تحرق عود حطب واحد من القرية، ولكنها أحرقت قلبي، واختارت زوجتي دون الجميع لأن العداء بيني وبينها، ومن زوجتي قد ثأرت، ومنا نحن الاثنين أنا والعمدة.

وجلس وأجهش بالبكاء، جلس المأمور وطلب من العمدة أن يتصل بطبيب الوحدة الصحية، وأن يتصل بالنيابة، فهو في انتظارهم لعمل اللازم فرد العمدة في هدوء: حضرتك روح مع الخفير واتصل بكل اللي أنت عايزه، أنا لا أقوى على الحركة اصلا أنا انشليت يا باشا، حاسس إني بموت.

دخل العمدة في نوبة بكاء شديد على أخته ووحيدته

***

اتشحت القرية بالسواد واعتصرت القلوب حزنا على زينب الرفاعي سليلة الحسب والنسب، وجلس أهل القرية كلهم أمام بيت اللحيوي في انتظار الطبيب ووكيل النيابة كما حدث مع دقدق والشيخ عويس لدفن الجسد الطاهر، بل وتمنى أهل القرية أن كانت الحريقة حقيقية، ولا تموت زينب ذات القلب الابيض، التي كانت تشع حب لكل نساء

القرية، وكانت تساعد العرائس في الزواج من ملابس وهديتها كانت الخاتم الذهبي، فملات قلوب النساء حبا لها، وهى أخت العمدة وبنت العمدة أكبر أعيان الناحية. وابراهيم العمدة الذي لا يرد محتاجا فهو كريم من أصل كريم يعطى كمن لا يخاف الفقر، وسخى على أهل القرية لدرجة أن القرى المجاورة تحسدهم عليه، ويعطى بسخاء أكبر من يعملون عنده، والكل يحسد من يعمل عند العمدة، وهو مؤمن بالمقولة التي تقول إن الشجرة التي لا تظل أهلها حلال قطعها، وزينب هي مفتاح قلب العمدة، فاذا رفض العمدة اى طلب لأى فرد أرسل زوجته إلى زينب الرفاعي لتتوسط لهم، ولا يرفض العمدة لها طلبا، فهي وحيدته أخته وابنته، وهى زوجة صالح اللحيوي صديق عمر العمدة وابن جعفر اللحيوي، طيب من ظهر طيب، كرث كل عمله للخير وفعل الخير يجرى خلفه بالمشوار، لم يأخذ قط مقابل لخدمة صنعها لأهل قريته ولا القرى المجاورة من رقية شرعية أو فك مربوط أو إخراج جان، وما هم فيه الآن بسبب هذا الكرم.

لقد أخرج صالح الجان من سعاد، وهذه هي النتيجة، فقد زوجته.

دارت في رأسه أفكار كثيرة لقد انتقم الجان منه شر انتقام، فقد هدده صراحة بإرسال الجنية مرة ثانية، ويبدو أنه نبهها منه وسلطها عليه، وكانت النتيجة أن ماتت زينب بنفس الموت رعبا، ولابد من الثأر لزينب من الجنية.

لا يجب الخوف والتراجع، لقد خسر كل شيء، فماذا سيحدث أكثر من ذلك، هي فعلت هذا قبل وضع الحديد الذى يمنعها من الخروج والأسمنت المسلح الذى لا يوجد به مسام، وأكبر من مساحة البئر.

لا خوف لا تراجع بل ثأر، ولا غير الثأر.

****

عاد المأمور من غرفة التليفون، ووصل الطبيب ووكيل النيابة وتم فحص الجثة، والأمر بالدفن.

أحس المأمور من جلوس الناس أمام المنزل أن بهذا الأمر مقلق ونوع من التجمهر، لا يجوز ان يتركه يتم هكذا دون إنهائه كرجل أمن ولكن كيف السبيل؟ بحيث لا يسبب غضب للعمدة أو صالح أو أهل القرية العاشقين للرجلين ونسلهما. فإن قال ندفن لفض هذا التجمهر سيرفض ويعاند، فما بينه وبين العمدة من تهكم يكفى للرفض.

جلس المأمور بجوار العمدة وسأله في صوت خافت: هتعمل إيه يا عمدة؟

رد العمدة: في إيه يا باشا؟

المأمور: دفن الجثة.

العمدة: المغرب قربت، يبقى الصباح رباح والنهار له عينين زى ما حضرتك شايف، و(أراد العمدة أن يذكره بطلبه المتكرر) مفيش حتى عمود نور واحد.

المأمور: أنا قصدي غير كدا، انت لو دفنت الصبح، صالح هيفضل جنب الجثة يبكى، وممكن يموت حزن عليها، إحساسه أنه هو السبب في اللي يجرى لها هيقتله، يعنى تدفن جثتين لو فضلت للصبح، وما تنساش أطفالها.

العمدة: الأطفال عندي مع أولادي هم إخواتهم، ما تقلقش.

المأمور: عندك إيه يا عمده؟ دا عندك كله هنا ستات، وأولاد، وخفر، دا البلد كلها هنا، يعنى انت هتروح وتسيب صالح؟

العمدة: لا طبعا

المأمور: طيب كيف تدفنوا من غير ما ترتاحوا؟ وكيف تقفوا في المعازى؟

العمدة: الصوان يتنصب مع طلوع الشمس

المأمور: يبقى تدفن دلوقتي، لو حبيت أنا معاك وبنور العربيات اللي معانا، ننور الطريق وعندكم الكلوبات.

هز العمدة رأسه اقتناعا بكلام المأمور العقلاني، وذهب إلى صالح وتحدثا طويلا، ووافق صالح لأنه يريد الثأر لزوجته فقرر الدفن ليفرغ للثأر.

-٢٢-

وقف صالح بعد إتمام دفن زوجته أمام قبرها ووسط الناس، وخطب فيهم قائلا: شكرا لمسعاكم وغدا مساء العزاء، والسرادق سيكون أمام بيتي وبيت العمدة، ولكن قبل أن نجلس في السرادق لابد أن نكون أخذنا بثأر زوجتي وأختكم، فدمها في عنقي وعنقكم، وكذلك دم الشيخ عويس ودقدق في أعناقنا جميعا، صباحا سننتهي من أمر صب الخرسانة المسلحة ووضع الحديد على البئر، وبعد أن ننتهي من هذا العمل نكون قد ثأرنا لدم من ماتوا جميعا، وبعدها نذهب كلنا لتلقي واجب العزاء من القرى المجاورة التي ستأتي لعزائنا، وشكر الله سعيكم جميعا إخوة كرام أعزاء.

قال العمدة: مع شروق الشمس سنكون جميعا بجوار البئر لأنهاء هذا العمل إن شاء الله.

***

أشرقت الشمس وكل أهل القرية عند بئر برهوت، ومعهم المعلم عطية الونش ورجاله، وكان العمل يجري كخلية من النحل لا تجد أحدا واقفا بلا عمل، يقلبون الخرسانة ويضعونها في البئر في عمل دؤوب، وصالح يجلس هو العمدة يقرآن القرآن والتعاويذ، فاليوم

سيضعون الخرسانة والحديد اللذان سيمنعانها إلى الأبد، فلابد من القراءة وبتركيز.

الجميع في حركة دائمة يخلطون الأسمنت والزلط والرمل ويصبونه في البئر، وهناك من يجلب المياه من الترعة، ومن يقلب ومن يفتح شكائر الأسمنت، ومن يحمل الزلط، ومن يحمل الرمل.

عمل متواصل وكأنهم في حرب، وكل منهم يعرف عمله، فالأدوار موزعة على الجميع بواسطة المعلم عطيه الونش، وكلهم إصرار على الأخذ بالثأر لكل من مات بسبب هذه الجنية الملعونة التي ستكون نهايتها الآن، نهاية بلا عودة وتنتهي هذه الأسطورة من قريتهم الجميلة إلى الأبد، لتعود لسابقة عهدها من الأمن والأمان والمحبة في قلوب الناس بعضها لبعض، فمرجع هذا كله إلى عمدة يعرف الله ويخاف على الناس، وإلى رجل طاهر يخدم بلا مقابل، وسعادته في خدمة الناس وأنهم أسرة واحدة، هو صالح أفندي الحافظ لكتاب الله، والمستعين به في كل أعماله، والمتحصن به في حياته كلها، رغم فقدان زوجته بسبب حبه للناس والاندماج معهم.

صاح عطية الونش: هاتوا الباليتة الصاج، دورها دلوقتي.

فقام صالح والعمدة واقتربا منها وبدأ صالح يقرأ القرآن عليها، وقرأ القرآن على كوب من الماء ثم رشه عليها، وتم إنزالها في الحفرة،

ووضع فوقها القفص الحديدي الكبير، وبدأوا في إلقاء الخرسانة على القفص، حتى تم صب البئر بالكامل.

هلل للجميع وبدأوا يهنئون بعضهم البعض بالأحضان والتقبيل، والكل صاح: الله أكبر.. الله أكبر، ولله الحمد، وإذا باثنين من الخفراء يهلون عليهم، ومعهم ثور كبير أحضره العمدة ليضحي به فرحا وسعادة بإتمام عملية ردم البئر بالطريقة السليمة، وعمل الخرسانة المسلحة، والحديد المطلوب حسب ما وصلوا إليه من العلماء والمتخصصين في هذا المجال، وما إن رأى الناس الثور بيد الخفر حتى صاح الجميع: الله أكبر. الله أكبر.

تقدم الجزار الذي أتى مع الخفر، وأعطى السكين للعمدة ليقوم بذبح الثور، ولكن العمدة أعطاها لصالح أفندي، وقال له: اذبح يا صالح، فأنت من صنعت كل هذا للقرية، وقد ضحيت بزوجتك من أجل إنهاء هذا الكابوس اللعين بلا خوف ولم تهرب، بل قررت أن نردم البئر قبل أخذ عزاء زوجتك وأختي وفلذة كبدي فهي ابنتي وليست أختي.

صاح الجميع: يللا يا صالح أفندي، ابدأ يا صالح أفندي.

تقدم صالح وهو يمسح دموعه، ونحر الثور، فهلل الرجال: الله أكبر.

حمل الثور في العربة الكارو إلى القرية للسلخ والطبخ، وعاد الجميع إلى القرية عودة المنتصرين المحققين لكل أحلامهم، فقد وضعوا بهذه

العملية النهاية السعيدة لهم ولأولادهم وأحفادهم من بعدهم، والقضاء على الجنية الملعونة قضاء مبرما، عادوا والسعادة تسبقهم وهم يرقصون ويهللون ويترحمون على من راحة ضحية هذه الجنية.

عاد معهم عطية الونش ورجاله، حتى يحضرون واجب العزاء، ثم ذهبوا جميعا إلى الوليمة التي أعدها العمدة.

-٢٣-

اكتظ السرادق بالمعزين عن آخره، وكانت الوفود تأتي من القرى المجاورة، ومن معارف العمدة التي لا تنتهي، ومعارف صالح التي لا حصر لهم من زملاء يجلسون معهم أمام المحكمة ومحامين وقضاه، وأيضا رواد قهوة دعبس ودعبس نفسه، والشيخ نور النوبي، وكل المعارف التي لا تنتهي.

أصبح السرادق لا يوجد به موضع قدم والكراسي عن آخرها، وكان المقرئ يضطر أن يصدق لإنهاء القراءة، ليقوم بعض الناس ويدخل آخرون ويكمل من حيث توقف، لقد تعدى السرادق كونه حفل تأبين إلى حفل لقاء الأحباب والأصحاب.

كان السرادق ممتلئ لدرجة أنك تشعر كأنه يخص أحد رجال الدولة الكبار، وقد وافته المنية وجاءت الدولة كلها تواسيه.

رفع أذان المغرب، فقام الخفراء وأخلوا جزء كبيرا من السرادق تقريبا نصفه، لإقامة صلاة المغرب وبعد أن أنهوا الصلاة، جاءت صواني الطعام وعليها لحم الثور الذي تم نحره، طعام يكفي قرى وليس لبعض المعزين، فالجميع لابد أن يأكل وبالقوة.

جلس الجميع يتناولنا العشاء، فنهاية هذه الوليمة هو أذان العشاء ما إن رفع الأذان فرفعت صواني الطعام، واصطف الناس للصلاة ليبدأ بعدها استكمال العزاء وقراءة القرآن.

***

بعد صلاة العشاء بدأ المعزون يتوافدون في زحام أكبر مما كان، وصالح والعمدة يستقبلان الناس ويجلسانهم مع تقديم واجب الضيافة من شاي وقهوة وسجائر.

من كثرة التعب وتوافد المعزين جلس صالح والعمدة، بدأ السرادق أن يفرغ فالعشاء مر وقتها من أكثر من ثلاث ساعات والناس تتوافد، فلم يبق إلا أهل قريتهم، فجلسا ليستريحا قليلا.

نظر صالح، فإذا بامرأة جالسة على آخر كرسي في الجهة المقابلة له، امرأة بارعة الجمال، جمال لم يرى مثله قط، جمال يهدئ النفس ويشع السرور في الجسم، إنه جمال ملائكي، عينان زرقاوان واسعتان، وجبين ناصع البياض يشع نورا من شده بياضة، يضرب إلى الحمرة وكأنه نار متوهجة، وشعر كسبائك الذهب منسدل على كتفيها، وجسد ملفوف ومفاتن صارخة، فسأل نفسه في تعجب: من تكون هذه الآية في الجمال؟ إنها ملاك، إذا كانت بكل هذا الجمال فكيف يكون حور العين؟ سبحان من خلق وأبدع.

فمال صالح على ابراهيم الرفاعي سائلا: من هذه المرأة الجالسة أمامنا؟

فرد ابراهيم مندهشا: أين هي؟

رد صالح بتعجب: ألا تراها أمامك؟

قال ابراهيم: لا توجد أي نساء، ما بك يا صالح؟

قال صالح: أتعني يا عمدة أن المقعد الأخير فارغا؟

إبراهيم : نعم هو فارغ

قال صالح: فهل من الممكن أن تذهب وتجلس به لأتأكد من كونه فارغا؟

رد إبراهيم في تعجب: سأذهب يا صالح.

ذهب إبراهيم إلى الكرسي ليجلس، ولكنه لم يستطع فكأن أحد يشغل الكرسي، وأحس برعشة وكأنها صدمة كهرباء، فعاد أدراجه لإبراهيم، وجلس على كرسيه ثانية، فسأله صالح: لقيته فاضي؟

قال إبراهيم متعجبا ووجلا: الكرسي مشغول، لكن لا يظهر أحد عليه.

قال صالح: أنا قلت لك الكرسي عليه واحدة ست.

إبراهيم: وهتكون مين الست المخفية دي يا صالح، إحنا لسه خلصنا من الجنية، تكونش رجعت تاني.

صالح: لا الجنية راحت للأبد.

إبراهيم: طيب تبقى مين دي يا صالح.

صالح: العلم عند الله، ربما كان تهيئات، عندي فكرة روح يا إبراهيم وشيل الكرسي ارفعه عن الأرض، شوفه هيتشال ولا لأ.

نادى إبراهيم العمدة على أحد الخفر لنقل الكرسي من مكانه إليهما، ولكن صالح منعه فهو يريد أن يكون الأمر بينهما فقط.

قال ابراهيم: نريد ثالث لنتأكد أننا غير موهومين، فيمكن أن يكون خيالنا أصابه مرض، فرضخ صالح ووافق.

نادى إبراهيم على محيسن الخفير، فجاء إليه مسرعا

محيسن: نعم يا عمدة أوامرك.

العمدة: شايف الكرسي اللي في آخر الصوان دا؟

محيسن: شايفة

العمدة: هاته هنا بسرعة.

أسرع محيسن إلى الكرسي وحاول رفعه، لكنه لم يستطع، بل وأحس وكأن الكهرباء صعقته، فتركه فعاد إلى العمدة مسرعا، وهو يقول: الكرسي متثبت في الأرض يا جناب العمدة، وحسيت إن فيه كهرباء مسكت في جسمي.

نظر العمدة وصالح إلى بعضهما نظرة قالت كل شيء بلا أي كلام، وكأنها تقول: شكلنا داخلين على مرار طافح، ربنا يسترها.

هزا رأسيهما ولاذا بالصمت، ووقفا يتلقيان العزاء، والمرأة تنظر لصالح وهي مبتسمة له.

(تمت)

صدر للمؤلف:

النمرة غلط مسرحية

قلوب عامرة رواية

الغربة شعر

وكالة كوهين مسرحية

بيت اللحيوي (أحفاد برهوت) رواية

تحت الطبع:

وعدى العمر شعر